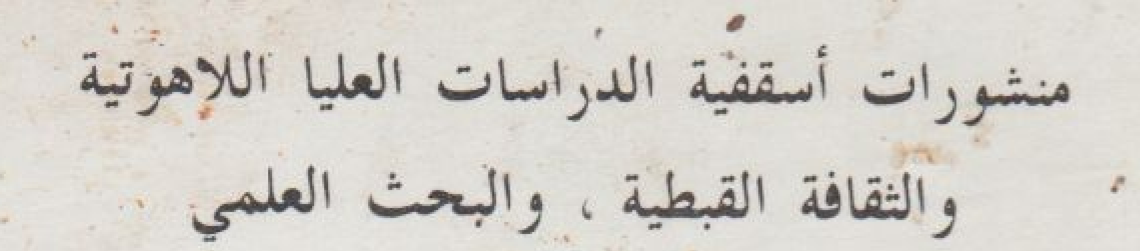


منشورات أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية
والثقافة القبطية ، والبحث العلمي

الروح بعد الموت

تأليف
الراهب الورع الروسى الأرثوذكسى
الأب سيرافيم روز

تقديم
الأنبا غريغوريوس
اسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

ترجمة
إبراهيم سلامة إبراهيم
دبلوم الدراسات العليا فى الصحافة والنشر

منشورات اسقفية الدراسات العليا اللاهوتية
والثقافة القبطية والبحث العلمى

الروح بعد الموت

تأليف
الراهب الورع الروسى الأرثوذكسى
الأب سيرافيم روز

القسم الأول

حتى نهاية الفصل السادس

ترجمة
إبراهيم سلامة إبراهيم
دبلوم الدراسات العليا فى الصحافة والنشر

تقديم
الأنبا غريغوريوس
اسقف عام
للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

لجنة النشر للثقافة القبطية
والأرثوذكسية

The Soul After Death,

By : Hieromonk Seraphim Rose .

Publisher : Saint Herman of Alaska Brotherhood, Platina, California .

first Edition : 1980 .

إيداع رقم ١٩٩١/٨٦٤٣

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
جمهورية مصر العربية - تليفون ٩٠٤٣٤٣

تقديم

بقلم
الأنبا غريغوريوس
أسقف عام
الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

هذا الكتاب كتاب ممتع ومثير ويستحق أن يقرأه الإنسان بتمعن لأهميته الخاصة ، وقد يجد فيه القارئ إجابات عن تساؤلاته فيما يتصل بالحياة بعد الموت.

والكتاب من تأليف الكاتب الروسى الأب سيرافيم روز ، وقد جمع معلوماته من الكتاب المقدس، وأقوال الأباء الروحانيين ، وقد قام بترجمته من الإنجليزية إلى العربية الإبن المبارك الأستاذ/ إبراهيم سلامة إبراهيم الحاصل على دبلوم الدراسات العليا فى الصحافة والنشر، ترجمة أمينة وسليمة .

وهو خدمة روحية جزيلة الفائدة وتبنى معرفة الإنسان بما يشغله عن مصيره بعد نهاية رحلته على الأرض .

إننا ندعو للمترجم بالجزاء المبارك ونحييه على جهده وصبره على العمل بدقة وأمانة ،، .

الأنبا غريغوريوس

أسقف عام
الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية
والبحث العلمى

٢ من ابريل - نيسان لسنة ١٩٩١
٢٤ من برمهات لسنة ١٧٠٧

كلمة المترجم

لايمكن التغاضى عما أثاره الإهتمام بنشر الدراسات المتعلقة بالحياة بعد الموت من إعتراضات كثيرة قادتها جهات عديدة كنسية وعلمانية ، وسنورد هنا بعضا من هذه الاعتراضات :

١ - يقول بعض المعترضين أن الاهتمام بهذه الدراسات قد يفتح الباب على مصراعيه لتدخل المشعوذين والدجالين ، كما أنها قد تدفع بعض البسطاء من الناس خاصة إذا كانوا محدودى الثقافة - إلى الخلط بينها وبين الكتابات التى ينشرها المشعوذون والدجالون لترويج أفكارهم وإغراء الناس بتجربة أساليبهم الشيطانية لحل المشاكل المستعصية عن طريق مايدعونه من الاتصال بالأرواح الخادمة من العالم الآخر .

٢ - وهناك من يسخر من هذه الدراسات قائلاً : هل استكملنا كافة الدراسات المتعلقة بحياتنا الأرضية حتى يتجه اهتمامنا إلى التوسع فى دراسة ما سنلقاه فى الحياة الأخرى . أليس من الأجدى لنا تركيز الجهد لحل مشاكل الحياة على الأرض بدلاً من الدخول فى متاهات البحث عن جوانب الحياة بعد الموت ؟

٣ - والبعض الآخر يتعلل بأن دراسات الحياة بعد الموت تعرض لنا تجارب ومواقف من العالم الآخر الذى لم نذهب إليه ، ولسنا على علاقة مادية محسوسة به ، ولذلك فهى تدخل فى نطاق الاجتهاد الفكرى والدراسات الميتافيزيقية التى تبحث فيما وراء الطبيعة ، أكثر منها فى نطاق العلم التجريبى ، مما قد يدفع بعض الناس إلى الشك فى النتائج التى تتوصل اليها ، وبالتالى فإنهم لن ينظروا إليها نظرة جدية وقد يعتبروها نوعاً من التسلية .

لقد أوردت بعض هذه الاعتراضات على سبيل المثال لا الحصر ، وأقول ببساطة أن الغرب المغرق فى المادية ، لم ينس خلال ثورته التكنولوجية المعاصرة أن يهرب من طغيان المادة إلى سمو الروح ، مما شجع الباحثين على ارتياد هذا المجال المجهول ، وقد تسلحوا بأسلحة العلم الحديث وطوعوها لخدمة أغراضهم النبيلة والتى تهدف إلى إنقاذ الإنسان المعاصر من الاستغراق فى حياه المادة ، وإثارة اهتمامه بما ينتظره من حياة أفضل فى ملكوت السموات . يقول الوحى فى المزمور التسعين وهو صلاة لموسى رجل الله : "أيام سنينا هى سبعون سنة وإن كانت مع القوة فثمانون سنة وأفخرها تعب وبلية لأنها تقرض سريعاً فنطير " (آيه رقم ١٠) ثم يقول فى الاية رقم ١٢ مايلى : " إحصاء أيامنا هكذاعلمنا فنؤتى قلب حكمه . " إن الوحى هنا يجعل موسى يتذكر كم هى قصيرة أيامنا على الأرض وبالتالى فإن هذه العشرات من السنين يجب ألا تشغلنا عن الحياة الأخرى التى لاتحدها الملايين من السنين لأنها أبدية أى غير انتهائية .

ونحن إذ نشكر اجتهادات العلماء فى هذا الصدد ، يسعدنا أن نقدم للقراء هذا الكتاب الذى يعرض لنا أقوال آباء الكنيسة الأرثوذكسية وخبراتهم الروحية . وكما يقولون أن الجيد يطرد الردئ ، وأن الحقائق تطرد الأكاذيب ، أقول أن نشر مثل هذا الكتاب هو الرد الأمين على شعوذة المشعوذين ودجل الدجالين وأنه قد آن الأوان لكى يخرج الإنسان من قوقعة الانشغال الكامل بشئون الحياة الدنيا ويعطى اهتماماً جدياً للنظر فى الأبحاث والدراسات التى تعرض له جوانب الحياة الاخرى فيشتاق إلى حياة النعيم وما تفرضه من الالتزام بعمل الخير وسلوك الفضيلة ، ويحذر الانغماس فى الشر الذى لابد وأن يقوده إلى مصير أليم فى جهنم حيث النار التى لاتطفأ والدود الذى لايموت . وقد أوردت من عندى بعض الحواشى التى

تتضمن تعليقات وتفسيرات مميزة فى نهايتها بكلمة (المترجم) الموضوعه بين قوسين للتفرقة بينها وبين حواشى الكتاب التي أوردها المؤلف .
ولايسعنى هنا إلا أن أتقدم خاشعاً بالشكر الجزيل لإلهنا القدوس الذى سمحت حكمته اللامتناهية بهذه الفرصة المواتيه لنقل هذا الكتاب الثمين إلى اللغة العربية . كما أشكر حضرة صاحب النيافة الحبر الجليل الأنبا غريغوريوس أسقف عام الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمى - لما تفضل به من التوصية بترجمة هذا الكتاب ، وما قام به من جهد فائق فى مراجعة هذه الترجمة رغم مشاغله العديدة .

الرب قادر أن يجعل هذا العمل سبب بركة لكل من يطالعه .
ولربنا المجد الدائم إلى الأبد آمين .
ابراهيم سلامة ابراهيم

٢٠ يناير ١٩٩١ م (١٢ طوبة ١٧٠٧ ش)

تذكار رئيس الملائكة الجليل ميخائيل
وشهادة الأمير تادرس المشرقى

مقدمة المؤلف

إن الغرض من نشر هذا الكتاب له شقان : الأول ، تقديم تفسير ، لتجارب " مابعد الموت " الحالية التى أثارت ذلك الاهتمام الجارى فى بعض الدوائر الدينية والعلمية - وذلك طبقاً للفكر المسيحى الأرثوذكسى .

والشق الثانى ، تقديم المصادر والنصوص الأساسية التى تتضمن التعليم الأرثوذكسى عن الحياة بعد الموت .

وإذا كان التعليم الأرثوذكسى مفهوماً بقدر محدود فى هذه الأيام ، فإن ذلك يعود بدرجة كبيرة إلى حقيقة أن هذه النصوص قد أهملت وصارت مختلفة عن الطراز المألوف فى عصرنا الموسوم بسمة « الاستنارة » وقد أردنا بمحاولتنا هذه أن نجعل هذه النصوص أكثر قابلية للفهم وفى متناول قراء اليوم . ولسنا فى حاجة للقول بأنها تشكل مادة صالحة للقراءة ذات أصالة وفائدة غير محدودة بالمقارنة مع الكتب التى تعرضت فى أيامنا هذه لموضوع « الحياة بعد الموت » واكتسبت شعبية كبيرة ، وحتى مع التسليم بأن هذه الكتب ليست كلها إثارة صرفة ، فإنها ببساطة لاتبتعد كثيراً عن المستوى الرائع لتجارب اليوم نظراً للحاجة إلى تعليم مترابط وواقعى حول موضوع : الحياة بعد الموت .

ولاشك أن التعليم الأرثوذكسى المعروض فى هذا الكتاب سيلاقى الانتقاد من البعض نظراً لبساطته أو حتى « سذاجته » بالنسبة لما يتوقع إنسان القرن العشرين أن يؤمن به . ولذلك يجب التأكيد على أن هذا التعليم لم يؤخذ عن بعض المعلمين المنعزلين أو غير النموذجيين فى الكنيسة الأرثوذكسية ، ولكنه التعليم الذى تسلمته كنيسة المسيح الأرثوذكسية ،

من مصادرها الأولى المتضمنة فى كتابات الآباء التى لاتحصى، وفى سير القديسين وفى القداسات الإلهية للكنيسة الأرثوذكسية ، والتي لم ينقطع تعليمها فى الكنيسة حتى يومنا هذا . إن بساطة هذا التعليم هى بساطة الحقيقة ذاتها - التى سواء جري التعبير عنها فى هذا التعليم أو غيره من تعاليم الكنيسة - تأتى كنبع منعش للصفاء فى خضم الارتباك الأسود الذى دخل إلى العقول المعاصرة بفعل الأخطاء المتعددة والأفكار الفارغة التى ترسبت عن القرون الماضية . ويحاول كل فصل من هذا الكتاب أن يشير إلى المصادر المأخوذة عن الأباء وسير القديسين التى تتضمن هذا التعليم .

لقد كان الأسقف الروسى إغناطيوس بريانشانينوف IGNATIUS BRIANCHANINOV ـ أحد آباء القرن التاسع عشر - هو المشجع الرئيسى لكتابة هذا الكتاب ، وربما كان نيافته هو أيضاً أول لاهوتى أرثوذكسى مرموق ، يواجه مباشرة نفس المشكلة التى اشتد تحكمها فى أيامنا هذه : ألا وهى كيفية المحافظة على التقليد المسيحى الأصيل والتعليم المسيحى فى عالم صار غريباً تماماً عن الأرثوذكسية ويجاهد إما لاستبعاده وتجاهله أو " إعادة تفسيره " بحيث يصبح مناسباً لأسلوب العالم فى الحياة والتفكير . وقد تجهز الأسقف إغناطيوس للدفاع عن الأرثوذكسية بالتنقيب العميق فى المصادر الأرثوذكسية الأصيلة (التى أمتص تعاليمها فى أعظم المراكز الديرية الأرثوذكسية الموجودة فى أيامه) وأيضاً بتعويد نفسه على الثقافة العلمية والأدبية الموجودة فى هذا القرن (فقد درس بأحد المعاهد الهندسية ولم يدرس بمعهد لاهوتى) ، وذلك مع المعرفة التامة بالتأثيرات الأخرى الكاثوليكية الرومانية والغربية التى جاهدت لتحديث الأرثوذكسية . وهكذا يتضح لنا أنه قد تسلح بمعرفة كل من اللاهوت الأرثوذكسى والمعرفة العلمانية مما ساعده على تكريس حياته للدفاع عن

الفكر الأرثوذكسى واستبعاد الانحرافات الحديثة عن هذا الفكر . ولسنا نبالغ بالقول بأنه لم يتمتع أى بلد أرثوذكسى آخر بمثل هذا المدافع الأرثوذكسى ضد إغراءات وأخطاء العصر الحديث خلال القرن التاسع عشر ، ولم يضارعه فى هذا المضمار إلا مواطنه الأسقف ثيوفان Theophan المتوحد ، الذى قام بنفس العمل وإن كان على مستوى " أقل تكلفاً " .

وقد خصص المجلد الثالث من مجموعة أعمال الأسقف إغناطيوس لمعالجة مسألة تعليم الكنيسة عن : الحياة بعد الموت - تلك التى دافع عنها ضد تعاليم الكاثوليكية الرومانية وغيرها من التحريفات الحديثة . وقد استعرنا عن هذا المجلد بصفة أساسية ، مناقشتنا فى هذا الكتاب حول موضوعات معينة مثل مراكز التفتيش ، وظهور الأرواح - وهى تعاليم يصعب على العقل الحديث - لسبب ما ، قبولها ببساطة ، ولكنه يصمم على " إعادة تفسيرها " أو رفضها برمتها . وبنفس هذا المنهج قدم الأسقف ثيوفان نفس التعليم ، وقد أستندنا أيضاً إلى أقواله . وقد كرر طيب الذكر رئيس الأساقفة جون ماكسيموفيتش Maximovitch وهو من كبار اللاهوتيين الروس ، بوضوح وبساطة - هذا التعليم إلى الدرجة التى جعلتنا نستخدم كلماته لصياغة القدر الأكبر من خاتمة هذا الكتاب . وتعتبر حقيقة أن الفكر الأرثوذكسى حول الحياة بعد الموت - قد جرى التعليم به بشكل واضح ومحدد على يد معلمى الأرثوذكسية فى العصر الحديث حتى يومنا هذا - هى السند القوى بالنسبة لنا نحن الذين نجاهد اليوم للمحافظة على الفكر الأرثوذكسى القديم ليس فقط من خلال عباراته المنقولة بشكل صحيح ، بل أيضا بتقديم التفسير الأرثوذكسى الأصيل لهذه العبارات . وبالأضافة إلى المصادر الأرثوذكسية والتفسيرات التى ذكرناها عاليه ، فإننا قد حاولنا من

خلال هذا الكتاب ، استخدام الأدب المعاصر عن " الحياة بعد الموت " من غير الأصول الأرثوذكسية ، بالاضافة إلى بعض النصوص الغيبية حول هذا الموضوع . وقد أتبعنا فى ذلك نموذج الأسقف إغناطيوس فى عرض التعليم الخاطئ كاملاً وكما تقتضى الأمانة لإظهار خطئه . وحتى لاينقاد المسيحيون الأرثوذكس إلى إغرائه . وقد وجدنا مثله ، أن النصوص غير الأرثوذكسية عندما تصير موضوعاً للتجربة الحقيقية التى نصفها (وليس مجرد الآراء والتفسيرات) تقدم لنا فى الغالب تأكيدات قوية للحقائق الأرثوذكسية . ويتمثل غرضنا الأساسى من وضع هذا الكتاب فى عرض مقارنة مفصلة وجدنا أنها ضرورية لبيان الفارق الموجود بين التعليم الأرثوذكسى واختبارات القديسين الأرثوذكس من جهة ، وبين التعليم الغيبى والتجارب الحديثة من جهة أخرى . ولو أننا اكتفينا بعرض التعليم الأرثوذكسى بدون هذه المقارنة لكان الاقتناع به منصباً على القليلين الذين كانوا مقتنعين به فعلاً ، أما الآن فمن المحتمل أن يتنبه بعض هؤلاء الذين اندمجوا فى التجارب الحديثة - الى الاختلاف الشاسع بين تجربتهم وبين التجربة الروحية الأصيلة .

وعلى أية حال فإن الحقيقة الجلية المتعلقة بأن قسماً كبيراً من هذا الكتاب يناقش التجارب المسيحية وغير المسيحية - إنما تعني أن كل شئ هنا ليس عرضاً مبسطاً لتعليم الكنيسة عن الحياة بعد الموت ، ولكنه يتضمن أيضاً تأويلات المؤلف لهذه التجارب المختلفة . وهناك - فيما يتعلق بهذه التفسيرات - مجال لاختلاف الرأى المشروع بين المسيحيين الأرثوذكس.

وقد حاولنا بقدر الاستطاعة أن نقدم هذه التفسيرات بطريقة انتقالية، دون أن نحاول " تحديد " مثل هذه الشئون الخاصة بالتجربة بنفس الطريقة التى يمكن بها تحديد تعليم الكنيسة بصفة عامة ، وخاصة فيما يتعلق

بتجارب " الخروج من الجسد " و " الانطلاق فى الفضاء " . لقد عرضنا هذه الموضوعات ببساطة كما وصفها الذين شاركوا فيها ، مع مقارنتها بالعروض المشابهة لها فى الأدب الأرثوذكسى ، بدون أن نحاول تحديد الطبيعة الدقيقة لمثل هذه التجارب ولكننا قبلناها كتجارب حقيقية جرت خلالها اتصالات بقوى روحية حقيقية ، وليست مجرد هلوسة . ولندع القارئ يحكم بنفسه فيما يتعلق بكفاية هذا المدخل .

ويجب أن يكون واضحاً أن هذا الكتاب لم يتناول كل التعليم الأرثوذكسى حول الحياة بعد الموت ولكنه مجرد مقدمة له . والحقيقة أنه لايوجد " تعليم كامل " حول هذا الموضوع ، ولايوجد فيه خبراء متخصصون أرثوذكسيون .

انه من الصعب علينا نحن الذين نعيش على الأرض أن نفهم حقيقة العالم الروحى حتى يتاح لنا أن نقيم فيه .

وهذه عملية تبدأ الآن ، فى هذه الحياة ولاتنتهي إلا فى الأبدية ، عندما نعاين " وجهاً لوجه " ما نراه الآن " فى مرآة فى لغز "(١كو١٣:١٢). ولكن المصادر الأرثوذكسية التى أشرنا اليها فى هذا الكتاب تعطينا موجزاً أساسياً لهذا التعليم ، وهو فيه الكفاية لتعليمنا ، لا لنحصل على المعرفة الدقيقة عن شئ ، هو فى النهاية خارج متناول أيدينا ، ولكن علينا أن نبدأ فى النضال للحصول على ملكوت السموات الذى هو هدف حياتنا المسيحية . وأن نتجنب المزالق الشيطانية المنتشرة فى كل مكان معترضة طريق النضال المسيحى بمعرفة عدو خلاصنا .

إن العالم الآخر حقيقى وقريب أكثر مما نظن عادة . والطريق إليه موجود أمامنا هنا ، فى حياة التلمذة الروحية والصلوات التى سلمتها لنا الكنيسة للخلاص . وهذا الكتاب مخصص وموجه لهؤلاء الذين يرغبون فى ممارسة مثل هذه الحياة .

" كان ثمة رجل غني يرتدى الأرجوان والبز ويتنعم كل يوم مترفهاً . وكان رجل فقير اسمه لعازر مطروحاً عند بابه وقد امتلأ جسمه بالقروح ، وكان يشتهي أن يشبع من الفتات الذى يسقط من مائدة ذلك الغني ، فلم يكن يعطية أحد ، وإنما كانت الكلاب تأتى وتلحس قروحه .

ثم مات الفقير فحملته الملائكة إلى حضن ابراهيم . ومات الغنى أيضا ودفن . وفى الجحيم رفع عينيه وهو يقاسى العذاب ، فرأى ابراهيم من بعيد ولعازر فى حضنه . فنادي وقال : ياأبى ابراهيم ارحمنى وأرسل لعازر ليغمس فى الماء طرف إصبعه ويبرد لسانى لأننى أتعذب فى هذا اللهيب . فقال ابراهيم : تذكر يابنى أنك قد استوفيت مسراتك ، وأما لعازر فقد استوفى بلاياه ، ومن ثم فهو الآن يتعزى ، وأنت تتعذب . ومع ذلك كله فإن بيننا وبينكم هوة عظيمة راسخة ، بحيث أن الذين يريدون العبور من هنا إليكم لايستطيعون ، كما لا يستطيع ذلك الذين يريدون العبور من عندكم إلينا فقال : أتوسل إليك إذن يا أبتاه أن ترسله إلى بيت أبى ، حيث لى خمسة إخوة ، حتي ينذرهم لئلا يجيئوا هم أيضا إلى مكان العذاب هذا .

فقال له ابراهيم : إن لديهم موسي والأنبياء فليستمعوا إليهم . قال : كلا يا أبى ابراهيم ، لكنهم إذا ذهب إليهم أحد الموتى يتوبون .

فقال له : إن كانوا لم يستمعوا إلى موسى والأنبياء ، فإنهم وإن قام أحد الموتى لايقتنعون " (لوقا ١٦ : ١٩- ٣١) .

الفصل الأول

بعض معالم التجارب الحالية

لقد أصبح موضوع : الحياة بعد الموت ، فجأة أحد الموضوعات التى نالت اهتماماً شعبياً واسع النطاق فى العالم الغربى . وقد طبع عدد من الكتب متضمنة وصف تجارب " ما بعد الموت " وذلك خلال العامين الماضيين ، وقد ألف هذه النوعية من الكتب علماء وأطباء مشهورون بأنفسهم أو أعطوها التأييد الكامل من أعماق قلوبهم . ومن هؤلاء الطبيبة صاحبة السمعة العالمية و " الإخصائ ، " في مشاكل الموت والاحتضار - الدكتورة اليزابيث كوبلر روس Elizabeth kublea Ross ، والتى وجدت أن هذه الأبحاث المتعلقة بتجارب ما بعد الموت " سوف تنير الطريق للكثيرين ، وتؤكد ما تعلمناه منذ ألفى عام - عن وجود حياة بعد الموت . "

وبالطبع ، فإن ذلك كله يمثل ابتعاداً فجائياً عن الجو الذى يخيم حتى الآن على الدوائر الطبية والعلمية ، التى عرضت الموت بوجه عام ، كموضوع " محظور " واستبعدت أى فكرة عن البقاء بعد الموت باعتبارها تقع فى مجال الخيال أو الخرافة ، وفى أحسن الأحوال ، اعتبرته عقيدة شخصية لا يقوم عليها دليل موضوعى .

والسبب الظاهرى لهذا التغيير الفجائى فى الرأى سبب بسيط ألا وهو أن الأساليب الجديدة لإعادة الحياة إلى " الذين ماتوا موتاً إكلينيكياً " (خاصة عن طريق تنشيط القلب بعد أن يكون قد توقف عن النبض) انتشر استعمالها على نطاق واسع فى السنوات الأخيرة . وعلى ذلك فالأشخاص الذين " ماتوا إكلينيكياً " (بدون النبض أو دقات القلب) قد أعيدوا إلى

الحياة باعداد كبيرة . والكثيرون من هؤلاء الناس (الذين كانوا بسبب الحظر المفروض على هذا الموضوع وتحت دافع الخوف من اعتبارهم مجانين - قد عيل صبرهم) إذا بهم الآن يتحدثون عنه علانية .

ولكن ما يهمنا هنا هو السبب الداخلى لهذا التغيير ، وأيضا مذهبه : لماذا أصبحت هذه الظاهرة فجأة ، ذات شعبية عارمة ، وصارت مفهومة من جهة المصطلحات الدينية أو الفلسفية المتداولة ؟ لقد أصبحت بالفعل إحدى "علامات الزمان " ودليلاً على الاهتمام الدينى فى يومنا هذا . إذن فما هو معناه ؟ سنعود إلى هذه الاستفسارات بعد بحث الظاهرة نفسها عن قرب .

ولكن علينا أن نسأل فى البداية : على أى اساس سنحكم على هذه الظاهرة ؟ إن الذين يصفونها بأنفسهم لا يقدمون تفسيراً واضحاً لها ، حتي وهم يبحثون غالباً - عن هذا التفسير في النصوص الغيبية أو الروحية . ويتوقع بعض المتدينـين (وكذلك العلماء) خطراً يدهم معتقداتهم المستقرة ، ولذلك فهم يستنكرون هذه التجارب بالشكل الذى قدمت به ، ويدخلونها عادة فى نطاق " الهلوسة " . لقد فعل ذلك بعض البروتستانت الذين اعتصموا بالرأى القائل بأن الروح إما أنها قد تدخل فى حالة من اللاشعور بعد الموت ،أو أنها تذهب حالاً لتكون " مع المسيح " .

أما المتطرفون فى معارضة الإيمان فإنهم ينكرون فكرة خلود الروح على الإطلاق ، ومهما كانت الأدلة التى تقدم لهم . لكن مثل تلك التجارب لا يمكن تفسيرها بمجرد رفضها . فالواجب يقتضى أن نفهمها فهماً صحيحاً ، فى حد ذاتها ، وفى السياق الكلى لما نعرفه بخصوص مصير الروح بعد الموت.

ولسوء الحظ فإن بعض المسيحيين الأرثوذكس أيضاً بدأوا يقتنعون ببعض الآراء الباهتة وغير المحددة عن الحياة الأخرى ، تحت تأثير الأفكار المادية الحديثة (كما تسربت من خلال البروتستانتية والكاثوليكية الرومانية.)

لقد قام مؤلف أحد الكتب الحديثة التى صدرت عن تجارب ما بعد الموت (هو دافيد ر.هويلر David R.Wheeler) وعنوان الكتاب : رحلة إلى الجانب الآخر Journey to the Other Side (فى سلسلة Ace books - ، نيويورك ١٩٧٧) بعمل استقصاء للرأى لدى أصحاب " المذاهب " المختلفة - حول الروح بعد الموت . وعلى ذلك استدعى قسيساً تابعاً لإحدى الإيبارشيات الكبرى لليونان الأرثوذكس الذى قدم له رأياً عاماً عن وجود السماء والجحيم . ولكن المؤلف قيل له أن الفكر الأرثوذكسى لايقدم " أية فكرة محددة عن ماهية الحياة بعد الموت " . وبذلك استنبط المؤلف أن " وجهة النظر اليونانية الأرثوذكسية حول الحياة بعد الموت - غير واضحة " . (صفحة ١٣٠) .

والحق أنه على العكس تماماً فإن المسيحية الأرثوذكسية لها تعليم محدد تماماً ووجهة نظر واضحة عن الحياة بعد الموت ، إبتداء من نفس لحظة الموت . وهذا التعليم موجود فى الكتاب المقدس (ويجرى تفسيره ضمن سياق التعليم المسيحى كله) ، وفى كتابات الآباء القديسين (خاصة فيما يتصل بالتجارب المعينة للروح بعد الموت) وفى سير عديدة للقديسين ومختارات من التجارب الشخصية التى من هذا النوع . وعلى سبيل المثال فإن كل الكتاب الرابع من محاورات Dialogues القديس غريغوريوس الكبير ، بابا روما (المتوفى سنة ٦٠٤م) ، قد خصص بكامله لهذا الموضوع.

وفى أيامنا هذه ظهرت مختارات من هذه التجارب ، مأخوذة عن السير القديمة لحياة القديسين ، والحكايات الأكثر حداثة - باللغة الإنجليزية (منها كتاب : أسرار الأبدية فيما وراء القبر Eternal Mysteries Beyond the Grave - لمؤلفه جوردانفيل Jordanville - وقد صدر فى نيويورك سنة ١٩٦٨) . وقد أعيد مؤخراً طبع ترجمة إنجليزية لأحد الكتب المتميزة ، والذى كتب فى أواخر القرن التاسع عشر بمعرفة شخص عاد إلى الحياة بعد موته لمده ٣٦ ساعة (عنوان الكتاب : " أمر لا يصدقه الكثيرون ولكنه حدث بالفعل " وهو فى الإنجليزية :

Unbelievable for Many but Actually a true Occurenc - بقلم : ك . يوركشكويل K.Uekskuell - نشر فى سلسلة : الحياة الأرثوذكسية Orthodox life - عدد : يوليو / أغسطس ١٩٧٦) . وعلى ذلك فإن لدى المسيحى الأرثوذكسى ثروة كاملة من المؤلفات موجودة فى متناول يده، والتى يمكن بواسطتها فهم التجارب الجديدة لما بعد الموت ، وتقديمها فى ضوء التعليم المسيحى الشامل - عن الحياة بعد الموت .

أما الكتاب الذى أشعل الاهتمام المعاصر بهذا الموضوع فقد نشر فى نوفمبر سنة ١٩٧٥ وقد كتبه طبيب نفسى شاب من جنوب الولايات المتحدة هو الدكتور ريموند أ . مودى Dr.Raymond A.Moody,Jr. - وعنوان الكتاب : الحياة بعد الموت Life After Life - ونشرته دار نشر موكينجبيرد Mockingbird Books - فى أطلانطا سنة ١٩٧٥) . [١]

(١) أعاننى الرب على ترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية تحت عنوان : الحياة بعد الموت - وكذلك أيضا الكتاب الثانى للدكتور مودى . تحت عنوان : أضواء على الحياة بعد الموت . وقد نشرتهما أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمى - مع تقديم لنيافة الحبر الجليل الأنبا غريغوريوس (المترجم) .

ولم يكن مهتماً وقتذاك بأية دراسات أو كتب أخري حول هذا الموضوع ولكن ما أن طبع الكتاب حتى صار واضحاً أن هناك اهتماماً عظيماً بالموضوع وسرعان ما كتب عنه الكثيرون . وقد أدى النجاح لكتاب الدكتور مودى (بيع منه أكثر من مليونى نسخة) إلى نقل تجارب الموتى إلى الناس على نطاق واسع . وقد صدر عدد كبير من الكتب والمقالات المطبوعة حول هذه التجارب فى خلال السنوات الأربعة التى مرت على نشر كتاب الدكتور مودى . ومن أهمها مقالات الدكتورة إليزابيث كوبلر روس ، وكتابها الذى سيصدر ، وتطابق نتائجه تلك التى أوردها الدكتور مودى والدراسات العلمية التى أجراها الدكتور أوزيس OSIS والدكتور هارالدسون HARALDSSON . كما كتب الدكتور مودى نفسه كتاباً مكملاً لكتابه الأول عنوانه : (أضواء على الحياة بعد الموت Reflections on life After life ، الذى صدر عن نفس دار النشر سنة ١٩٧٧) متضمناً معلومات إضافية وأنطباعات أوسع عن نفس الموضوع .

وسنناقش فى كتابنا هذا النتائج التى وردت فى هذه الكتب والكتب الأخرى الجديدة (وهناك اتفاق عام بينها على هذه الظاهرة موضوع الدراسة). وسنفحص الكتاب الأول للدكتور مودى الذى يعتبر مدخلاً موضوعياً ومنهجياً للموضوع برمته ، وذلك كنقطة للبداية .

لقد جمع الدكتور مودى خلال السنوات العشر التى سبقت نشر كتابه- الإختبارات الشخصية لحوالى مائة وخمسين شخصاً حدث لهم موت فعلى أو مروا بتجارب حافة الموت ، أو قصوا عليه تجارب الآخرين لحظة موتهم . ومن بين هذه الحالات تعمق بالنظر فى تجارب حوالى الخمسين من الأشخاص الذين أجرى معهم مقابلات حفلت بالكثير من التفاصيل .

وقد حرص على أن يكون موضوعياً فى عرض هذا البيان ، بالرغم من أنه يقر بأن الكتاب " يعكس بطبيعة الحال الخلفية الفكرية لمؤلفه واعتقاداته وآراءه السابقة (ص ٩) والذى ينتمى دينياً إلى مذهب (مثال المسيح Methodist) أو بالأحرى إلى مذهب من المذاهب الحرة . وفى الحقيقة فإن هناك بعض أوجه القصور فى الكتاب من حيث موضوعيته فى دراسة ظاهرة " ما بعد الموت " .

أولا : أن المؤلف لم يقدم تجربة واحدة للموت الكامل من البداءة حتى النهاية ولكنه يقدم فقط اقتباسات (مختصرة جداً) كأمثلة على كل من الخمسة عشر عنصراً التى يتضمنها " نموذج " التجربة " الكاملة " للموت . ولكن الحقيقة الواقعة هى أن التجارب الفعلية للموت كما وردت فى هذا الكتاب وغيره من الكتب التالية تختلف فى التفاصيل إحداها عن الأخرى بحيث تبدو فى شكل محاولة غير ناضجة لجمعها كلها فى " نموذج " واحد . ويبدو نموذج الدكتور مودى فى بعض جوانبه مصطنعاً ومتكلفاً ، ولو أن هذا لا يقلل من قيمة الشهادات الحقيقية التى يقدمها .

وثانياً : أن المؤلف قد ربط بين تجربتين مختلفتين : الأولى هى التجارب الفعلية " للموت الإكلينيكى " والثانية هى تجارب " حافة الموت " ويبين المؤلف الفارق بينهما ولكنه يذكر أنهما " متكاملتان " (ص٢٠) ويجب دراستهما معاً . والحقيقة أنه يوجد تكامل للتجربة فى الحالات التي تبدأ فيها التجربة قبل الموت وتنتهى بالموت نفسه (سواء أقيم الشخص حياً أم لا) ، ولكن العديد من التجارب التى وصفها المؤلف (استعادة أحداث حياة الشخص فى لمحة سريعة عند مواجهته خطر الغرق ، وتجربة الدخول فى النفق عندما يكون الشخص تحت تأثير مخدر مثل الاتير) قد مر بها أشخاص

عديدون ممن لم يدخلوا فى تجربة " الموت الإكلينيكى " .

وعلى ذلك فربما كانت هذه التجارب تنتمى إلى نموذج تجربة أكثر عمومية ، وقد تكون مجرد عارض فى تجربة الموت . وتبدو بعض الكتب التى تظهر الآن أقل تفرقة فى إختيار التجارب التى تسجلها بما فيها تجارب "الخروج من الجسد " عامة ، مع التجارب الفعلية للموت والإحتضار .

وثالثاً : أن حقيقة أن المؤلف يعالج هذه الظاهرة " علمياً " بدون مفهوم سابق واضح لما تصادفه الروح عند الموت يفتح المجال لإلتباسات عديدة وأفكار خاطئة حول هذه التجربة ، مما لايمكن إزالته بتقديم مجموعة من أوصافها المجردة ، ولابد أن هؤلاء الذين وصفوها بأنفسهم قد أضافوا إليها تفسيراتهم الخاصة (تأويلاتهم) .

ويسلم المؤلف نفسه بأنه من المستحيل فعلاً دراسة هذا الموضوع "علمياً " وفى الواقع فإنه يلتمس تفسيراً له فى التجارب المشابهة التى وردت فى الكتابات الخفية مثل تلك التى أوردها سويدنبرج Swedenborg و"كتاب التبت عن الموتى Tibetan Book of the Dead " قائلاً أنه ينتوى الآن أن ينظر نظرة فاحصه إلى " كمية الأدب الضخمة المتعلقة بالظواهر غير العادية والخفية " وذلك بغرض زيادة فهمه للوقائع التى درسها (ص ٩) .

وهذه العوامل كلها تجعلنا لا نتوقع الكثير من هذا الكتاب والكتب الأخرى المشابهة ، لأنها لن تعطينا قصة كاملة ومترابطة لما يحدث للروح بعد الموت . ولكن لاتزال هناك بقية كافية من التجارب الحقيقية للموت الإكلينيكى ، فى هذا الكتاب والكتب الجديدة الأخري ، وهى جديرة بأن تجتذب الانتباه الجدى ، خاصة فى ضوء هذه الحقيقة ، حقيقة أن بعض الناس

قد فسر هذه التجارب بطريقة معارضة لوجهة النظر المسيحية التقليدية عن الحياة بعد الموت ، كما لو أنهم " أنكروا" وجود السماء أو (بصفة خاصة) جهنم . فكيف إذن نفهم هذه التجارب ؟

إن العناصر الخمسة عشر التى يصفها الدكتور مودى بأنها تنتمى إلى التجربة الكاملة للموت قد يتطلب الأمر اختصار عددها إلى عدد من الخصائص الأساسية للتجربة ، وذلك لتسهيل مناقشتها ، وسنقدم هنا هذه الخصائص ونقارنها بالأدب الأرثوذكسى المتعلق بهذا الموضوع .

١ - تجربة الخروج من الجسد

إن أول ما يحدث للشخص الميت ، حسب هذه الروايات ، هو خروجه من جسده وبقاؤه منفصلاً عنه انفصالاً كاملاً ، وبدون أن يفقد الوعي بتاتاً. وهو غالباً قادر على ملاحظة كل ما يدور حوله ، بما فى ذلك جسده الميت ومحاولات إعادة الحياة إليه . ويشعر بأنه قد انتقل إلى حالة من الدفء الخالى من الألم ، مع الإحساس بالراحة ، كما لو كان " طافياً " ، وهو غير قادر تماماً على التأثير فى البيئة المحيطة به عن طريق الحديث أو اللمس ، وعلى ذلك فهو يحس بالوحدة الكاملة . وتصبح عملياته الفكرية أسرع مما كانت عليه أثناء حياته فى الجسد ، وإليك بعض المقتطفات المختصره من هذه التجارب:

" كان اليوم شديد البرودة ، ولكننى بينما كنت فى هذا الظلام فإن كل ما شعرت به كان هو الدفء والراحة القصوي التى لم أختبرها فى حياتى كلها. وتذكرت أننى فكرت فى نفسى قائلاً : " لابد أننى ميت " .(ص٢٧).

" بدأت أستمتع بأعذب المشاعر ، ولم أشعر بشئ إلا السلام والراحة والإطمئنان . إنه هدوء شامل " . (ص ٢٧) .

" رأيتهم يقيمونني ، وكان الموقف غريباً ، ولم أكن مرتفعة جداً بل كنت كمن يقف على قاعدة عامود ، ولكنني لست مرتفعة عنهم كثيراً ، وإنما بالقدر الذي يسمح لي بالنظر إليهم من فوق . حاولت أن أتحدث إليهم ولكن واحداً منهم لم يسمعني ، ولا أحد منهم يريد أن يصغي إلي " . (ص٣٧).

وتدفق الناس من جميع الاتجاهات للوصول إلى الحطام ... وعندما أقتربوا مني جداً كنت أحاول أن أتحول عنهم أو أبتعد عن طريقهم ، ولكنهم كانوا يخترقونني " . (ص ٣٧) .

" لم أكن قادراً على لمس أي شئ ،أو التخاطب مع أي من الناس المحيطين بي . إنها حالة مريعة وشعور بالوحدة مع إحساس بالعزله التامة... عرفت أنني كنت وحيداً تماماً ... مع نفسي فقط " . (ص ٤٣).

وبين الحين والآخر نجد دليلاً دامغاً (وبرهاناً موضوعياً) على أن الشخص في هذه الأثناء يكون خارج الجسد في هذا الوقت ، وأن الناس قادرون على سرد الأحاديث أو تقديم التفاصيل الدقيقة للأحداث التي جرت حتى لو كان ذلك في الغرف المجاورة أو بعيداً عن المكان ، بينما هم قد ماتوا.

وتذكر الدكتورة كوبلر روس بين العديد من الأمثلة المماثلة - حالة جديرة بالملاحظة ألا وهي (ما شاهدته ووصفته فيما بعد بوضوح) - سيدة عمياء رأت ووصفت كل شئ رأته في الحجرة التي ماتت فيها ، بالرغم من

أنها عندما عادت إلى الحياة عادت عمياء مرة أخرى - هذا دليل دامغ على أن العين ليست هى التى ترى (وليس المخ هو الذى يفكر ، فإن القدرات العقلية تصبح أسرع إنجازاً بعد الموت) ، ولكن الروح هى التى تقوم بهذه الأعمال من خلال الأعضاء الجسدية طالما كان الجسد على قيد الحياة ، وتقوم بها من خلال قدرتها الذاتية عندما يموت الجسد " الموت لا يدوم Death " " Does not Exist (مقال للدكتورة إليزابيث كوبلر روس فى مجلة Quartely The Co-evolution – صيف عام ١٩٧٧- ص ص١٠٣-١٠٤) .

وليس ذلك شيئاً مستغرباً بالنسبة للمسيحى الأرثوذكسي ، فالتجربة التى وصفها هنا هى ما يعرفه المسيحيون باسم : انفصال الروح عن الجسد عند لحظة الموت . ومن الأشياء التى تميز عصرنا هذا غير المؤمن ، أن هؤلاء الناس نادراً ما يستعملون التعبيرات المسيحية ، أو يتحققون من أن أرواحهم هى التى تتحرر من الجسد وهى تمارس الآن كل شئ ، ولذلك فهم فى العادة يشعرون بالحيرة إزاء الحالة الجديدة التى صاروا إليها .

وهناك كتاب عن تجربة ما بعد الموت عنوانه : " لايصدقه الكثيرون ، ولكنه حدث بالفعل " وضعه شخص هو : مسيحى جري تعميده أرثوذكسياً، ظل حسب روح القرن التاسع عشر ، غير ملتزم بحقائق إيمانه الأرثوذكسى ولم يؤمن بالحياة بعد الموت ، كما يبدو أنها وصلت في الوقت المناسب فى ضوء تجارب ما بعد الموت الجديدة التى تجري فى أيامنا هذه ، لأنها تجربة واحدة كاملة تبين ما يحدث للروح بعد الموت (تذهب إلى أبعد من التجارب المختصرة والمجتزئة التى وصفتها الكتب الجديدة) ، وقد عاين هذه التجربة إنسان حساس بدأ من حالة عدم الإيمان المعاصرة وانتهى إلى معرفة حقائق

المسيحية الأرثوذكسية - إلى الحد الذى جعله ينهى حياته بالدخول فى الرهبنة .

ويعتبر هذا الكتاب الصغير " سابقة قانونية " يمكن على ضوئها الحكم علي التجارب الجديدة . وقد أقره رئيس الأساقفة نيكون Nikon of Vologda ، وهو أحد قادة نشر الرسالة الأرثوذكسية Orthodox Missionary Printers عند نهاية القرن التاسع عشر ، وذلك لأنه لم يتضمن شيئا يتعارض مع التعليم الأرثوذكسى .

يقول مؤلف هذا الكتاب بعد وصف المعاناة النهائية لموته الفيزيقى ، والثقل الرهيب الذى كان يضغط عليه إلى الأرض :

" أحسست فجأة بهدوء فى داخلي . ففتحت عينى ، ووجدت أن كل ما رأيته فى أثناء تلك الدقيقة ، قد تم تسجيله فى ذاكرتى حتى أصغر التفاصيل - بوضوح كامل .

رأيت نفسى واقفاً بمفردى داخل حجرة ، وكان يقف عن يميني (شئ) وقد التف حولى فى هيئة نصف دائرية ، الطاقم الطبى كله .... والأمر الغريب الذى استوقفني أنه كان هناك سرير فى المكان الذى وقف فيه أفراد الطاقم ، فما الذى لفت أنظار هؤلاء الناس ؟ وما هو الشئ الذى كانوا ينظرون إليه ؟ ومتى كنت غير موجود بالفعل ، ومتى صرت واقفاً فى وسط الحجرة؟

وتحركت إلى الأمام ونظرت حيث كانوا ينظرون : كنت هناك راقداً على السرير .

إننى لا أستطيع أن أتذكر ما أحسست به من خوف عندما رأيت شبيهى ، كل ما هناك أنني صرت فى حيرة : كيف يمكن أن يحدث ذلك ؟ إننى أحس بنفسى هنا ، وفى نفس الوقت أجدنى هناك ....

أردت أن ألمس نفسى ، محاولاً أن أمسك اليد اليسرى باليد اليمني : لقد مرقت يدى من خلال جسمى كما لو مرقت فى فراغ ... وناديت على الطبيب ، ولكن الجو الذى وجدت نفسى فيه ، تبدل ليصبح غير مناسب لى كلية ، وذلك أنه لم يستقبل أو ينقل رنين صوتي ، وفهمت أنني فى حالة انقطاع تام عن كل ما يحيط بى وفهمت حالة العزلة الغريبة التى صرت إليها ، وأستولى علىَّ شعور بالفزع . وكان هناك فى هذه العزلة غير المألوفة شئ مرعب لايمكن التعبير عنه ...

والتفت بشدة ، وهنا فقط واتتني الفكرة للمرة الأولى : هل يمكن أن يكون ذلك الذى حدث لى ، هو ما نعبر عنه فى لغتنا ، لغة الأحياء ، بكلمة (الموت) ؟ لقد حدث ذلك لأن الجسد المسجى على السرير كانت تبدو عليه كافة مظاهر الجثة الهامدة .....

وحسب ما تمليه معرفتنا بمفهوم كلمة " الموت " فإنها ترتبط بفكرة حدوث نوع من الدمار ، وتوقف الحياة ، فكيف يمكن أن أفكر فى أنني ميت مع أننى لم أفقد وعيى لحظة ، حيث أحسست بنفسى كما لو كنت حياً ، أسمع كل شئ ، أنظر كل شئ ، وواعياً لكل شئ ، قادراً على الحركة ، والتفكير ، والكلام ؟ ...

لقد جعلنى الإنفصال عن كل شئ حولى ، والإنشقاق فى شخصيتى ، أفهم هذا الذى حدث ، أكثر مما إذا كنت أؤمن بوجود الروح ، أو إذا كنت

متديناً ، ولكن ليست هذه هى القضية ، لأنني انقدت بمفردى عن طريق ذلك الذى شعرت به ، وكان الإحساس بالحياة واضحاً جداً لدرجة أننى ارتبكت بسبب هذه الظاهرة الغريبة ، ووجدتنى عاجزاً تماماً عن ربط مشاعرى بالمفهوم التقليدى ، بمعنى أننى بينما كنت أحس وأعى ذاتى ، كنت أظن أننى غير موجود ...

ولاحظت فيما بعد ، عندما تذكرت حالة وجودى وفكرت فى الحالة التى صرت إليها فى ذلك الوقت ، أن قدراتى العقلية كانت تعمل بطاقة جبارة وسرعة فائقة . " (صفحة ١٦ - ٢١) .

إن حالة الروح فى الدقائق الأولى بعد الموت لم يجر وصفها بمثل هذا التفصيل فى الأدب المسيحى القديم ، حيث كان التركيز الكامل يدور دائماً حول التجارب الأكثر غرابة التى سترد فيما بعد . وربما كان من المحتمل أن نتوقع رؤية هذا الإهتمام بهذه الدقائق الأولى القليلة عندما إنقلبت توقعات معظم المحدثين بسبب معرفة : أن الموت ليس هو النهاية ، لأن الحياة مستمرة، وأن الروح تدخل فى حالة جديدة تماماً ، وذلك الإهتمام يعود إلى العصر الحالى عندما صار تعريف كلمة " الحياة " يعنى " الحياة فى الجسد ".

ويقيناً أنه لايوجد فى هذه التجربة شئ يناقض التعليم الأرثوذكسى عن حالة الروح بمجرد خروجها من الجسد مباشرة . وقدأثار بعض الناقدين لهذه التجربة ، الشكوك فيما إذا كان الشخص قد مات فعلاً إذا تم أنعاشه خلال دقائق قليلة ، ولكن هذه مجرد مسأله فنية فقط (سنناقشها فيما بعد فى الوقت المناسب) . وتبقى الحقيقة قائمة وهي أنه فى هذه الدقائق القليلة (أحياناً أيضاً خلال الدقائق التي تسبق الموت) توجد فى الغالب تجارب لايمكن تفسيرها بأنها مجرد " هلوسة " . ويتركز عملنا هنا على اكتشاف كيفية فهمنا لهذه التجارب .

٢- مقابلة أشخاص آخرين

تبقى الروح لفترة قصيرة جداً فى حالة العزلة الأولى . ويورد الدكتور مودى حالات عديدة لأفراد رأوا فجأة حتى قبل موتهم ، أقارب وأصدقاء كانوا قد ماتوا بالفعل .

" وتركنى الطبيب ، وقال لأقاربى أننى أدخل فى حالة الموت بالفعل. حينذاك عرفت أن جميع هؤلاء الناس كانوا متجمعين هناك .... وكانوا يحومون حول سقف الغرفة . وكانوا كلهم أناساً عرفتهم أثناء حياتى السابقة ولكنهم جميعاً رحلوا قبلى . وعرفت من بينهم جدتى لأمى، وفتاة كنت أعرفها أثناء الدراسة وغيرهما من الأقارب والأصدقاء ... وكانت فرصة سعيدة حيث غمرنى الإحساس بإنهم جاءوا لحمايتى أو لإرشادى ".(ص٤٤).

وليست هذه التجربة الخاصة بمقابلة الأصدقاء والأقارب الراحلين عند الموت - اكتشافاً جديداً ، حتي بين العلماء المحدثين . ذلك أنه منذ أكثر من خمسين عاماً مضت كانت موضوعاً لكتاب وضعه رائد فى " ما وراء المادة أو علم الأرواح هو سير وليام باريت Sir William Barrett وعنوانه : رؤى فراش الموت Death - Bed Visions [١] . وبعد ظهور الكتاب الأول للدكتور مودى ، وردت تفاصيل أوسع عن هذه الخبرة التى ألهم بها سير وليام باريت فى كتاب طبع بعد ذلك ، وتبين أن المؤلفين الأثنين اللذين وضعا هذا الكتاب كانا قد أجريا بحثاً منهجياً على تجارب الموت لسنوات عديدة

---

(1) Sir William Barrett , Death - Bed visions'-Methuen, London,1926) .

قبل ذلك . وعلينا هنا أن نقول كلمة عن النتائج التى توصل إليها هذا الكتاب الجديد وعنوانه : عند ساعة الموت [١] .

إن هذا الكتاب هو أول كتاب " علمى " بحت ، يظهر حول تجارب الموتي . وهو يعتمد على نتائج استفسارات مفصلة ولقاءات شخصية مع فريق من الأطباء والمرضات الذين تم اختيارهم عشوائياً فى شرق الولايات المتحدة وشمال الهند (وقد اختير البلد الأخير لتوفير أقصى الموضوعية لإختبار الإختلافات فى التجربة التى لابد أن تظهر بسبب اختلاف الجنسية والسيكولوجية والعقيدة الدينية) . وعلى ذلك فإن المادة المتحصلة تتضمن مايربو على الألف حالة من التجليات والرؤى التى تحدث للمشرفين على الموت (وللقليل ممن عادوا إلى الحياة بعد أن ماتوا إكلينيكياً) . وقد وجد المؤلفان أن النتائج التى توصل اليها الدكتور مودى تتفق مع ما توصلا إليه بصفة عامة (ص ٢٤) . لقد وجدا أن ظهور الأقارب والأصدقاء الموتى (وفى الهند ظهورات عديدة للآلهة الهندوسية) يحدث للمشرفين على الموت فى الغالب فى حدود ساعة أو فى حدود يوم قبل الوفاة . وهناك فى نسبة حوالى ضعف الحالات ، رؤى تنتمى إلى عالم آخر ، وأجواء شبه " سماوية " أعطت نفس الإحساس . (سنناقش هذه التجربة السماوية فيمايلى) . وهذه الدراسة لها قيمة خاصة من حيث أنها تميز بعناية بين الترهات فى تلك الهلوسة العالمية وبين الرؤى الواضحة تماماً لتجليات العالم الآخر وظهوراته ، وتحلل إحصائيا وجود عوامل كما فى استخدام عقاقير الهلوسة ، وفى درجات الحرارة المرتفعة ، والأمراض والإصابات العقلية ، والتى من المحتمل أن تؤدى

(1) Korlis Osis & Erlendur Haraldsson , 'At the Hour of Death. ' Avon Books, New York, 1977

كلها إلى نوعيات من الهلوسة ولاينتج عنها تجارب حقيقية مختصة بأشياء خارج عقل المريض . ومما له دلالة أن المؤلفين وجدا أن أكثر التجارب المتعلقة بالعالم الآخر ترابطاً ووضوحاً تحدث للمرضى الذين هم أكثر اتصالاً بهذه الحقيقة المتعلقة بالعالم الآخر وأقل ما يكونون ارتباطاً بالهلوسة ، خاصة هؤلاء الذين يشاهدون ظهورات للمنتقلين أو لكائنات روحية وهم فى كامل قواهم العقلية ، وهم يشاهدون هذه الكائنات مع الوعى الكامل بما يحيط بهم من جو المستشفى . والأكثر من ذلك أنهما وجدا أن هؤلاء الواقعين تحت سيطرة الهلوسة يشاهدون فى العادة أشخاصاً أحياء بينما تبدو الرؤى الأصلية للمشرفين على الموت ، متعلقة بأشخاص من المنتقلين . وبينما نجد المؤلفين حذرين فى استنتاجاتهما التى توصلا إليها فإنهما يجدان نفسيهما يجنحان إلى " قبول قضية الحياة بعد الموت - على انها أعظم تفسير منيع للمعلومات المتوفرة لدينا " (ص ١٩٤) . وعلى ذلك فإن هذا الكتاب يتكامل مع النتائج التى توصل إليها الدكتور مودى ويؤيد بقوة تجربة الإلتقاء بالموتي والكائنات الروحية عند لحظة الموت . وسواء كانت هذه الكائنات هى ما رآه المشرفون على الموت فعلاً أم لا، فهذا سؤال سنناقشه فيمايلى.

تعتبر هذه النتائج مذهلة إلى حد ما عندما تأتى ممن لهم خلفية لاأدرية [١] ولا إيمانية . وهى التى تميزت بها افتراضات العلم الحديث . ومن الناحية الأخري ليس فيها غرابة بالنسبة للمسيحى الأرثوذكسى ، فنحن

---

(١) مذهب اللاأدريه Agnosticism يؤمن أتباعه بأن الإنسان ليست لدية معرفة يقينية بشئ ما ، إلابالأشياء المادية ، ولايوجد هناك شئ يمكن معرفته عن الإله أو الحياة بعد الموت . (المترجم) .

نعرف أن الموت ليس إلا انتقالاً من شكل إلى آخر من أشكال الوجود ، كما أننا تعودنا على العديد من التجليات والرؤى التي تحدث بالنسبة للمشرفين على الموت ، سواء كانوا من القديسين ،أو الخطاة العاديين . ويصف القديس غريغوريوس الكبير كثيراً من هذه التجارب في "محاوراته. " مفسراً هذه الظاهرة المتعلقة بمقابلة الآخرين : " غالبا ما يحدث أن تتعرف الروح وهى فى لحظة الموت ، على هؤلاء الذين ستشاركهم نفس مسكنهم الأبدى ، والذين تتساوى معهم فيما يستحق من عقاب أو ثواب " (المحاورة الرابعة : ٣٦)

ويذكر القديس غريغوريوس فيما يختص بهؤلاء الذين عاشوا حياة البر أنه " كثيراً ما يحدث أن قديسى السماء يظهرون للأبرار عند ساعة الموت لكي يهدئوا من روعهم . وحتى يموتوا بدون معاناة أى خوف أو أرتياع عندما يرون جماعة السمائيين أمام أذهانهم " (المحاورة الرابعة : ١٢) . ثم يقدم أمثلة عن ظهور ملائكة ، وشهداء ، والرسول بطرس ، ووالدة الإله ، ويسوع المسيح نفسه لهؤلاء المشرفين على الموت (المحاورة الرابعة : ١٣ - ١٨) .

وقد قدم الدكتور مودى مثلاً واحداً لتقابل أحد المائتين ليس مع أى قريب أو كائن روحى ، ولكن مع شخص غريب عنه تماماً : " فقد ذكرت إحدى السيدات أنها أثناء تجربتها وهى خارج الجسد لم تر جسدها الروحى الشفاف ولكنها رأت جسد آخر روحياً كان لشخص آخر كان قد توفى حديثاً ولم تعرف من كان ذلك الشخص (Life after life,P.45 - وتقابلها ص ص٥٤- ٥٥ من الترجمة العربية للكتاب تحت عنوان : الحياة بعد الموت) .

ويصف القديس غريغوريوس فى " محاوراته " ظاهرة مماثلة ، ويورد أحداثاً عديدة عندما كان أحد المحتضرين ينادى شخصاً آخر كان يحتضر فى نفس الوقت ولكن فى مكان آخر وليس هذا من طريف الجلاء البصرى الذى

يتمتع به القديسون وحدهم ، لأن القديس غريغوريوس يصف كيف أن خاطئا عادياً وهو ذاهب طبعاً إلى الجحيم يرسل إلى شخص يدعى اسطفانوس لم يكن يعرف أنه سيموت فى نفس الوقت ، ليبلغه بأن " سفينتنا مستعدة لنقلنا إلى صقلية " (صقلية تذكره بالجحيم نظراً لأنها جزيرة تمتلئ بالأنشطة البركانية) (المحاورة الرابعة : ٣٦) . ومن الواضح أن هذا هو ما يطلق عليه الآن اسم Extra-sensory Perception.Esp أى الإدراك عن طريق الحواس ، وهو ذلك الذى يحدث للكثيرين بوضوح خصوصاً قبل الموت ، وبالطبع فإنه يستمر بعد الموت عندما تكون الروح خارج نطاق الحواس البدنية تماماً .

وعلى ذلك فإن هذا الاكتشاف الخاص بالبحث الروحى الحديث يؤكد فقط ما يعرفه قارئ الأدب المسيحى القديم فيما يتعلق باللقاءات وقت الموت. وبينما يظهر أن هذه اللقاءات لاتحدث لكل شخص عند الموت ، إلا أننا لانزال نقول أنها عالمية بمعنى أنها تحدث بصرف النظر عن الجنسية أو الدين أو قداسة الحياة .

ومن ناحية أخرى نجد أن تجربة القديس المسيحى ، بينما تشترك فى الخصائص العامة التى يبدو أن كل شخص يستطيع أن يمر بها ، إلا أن لها بعداً آخر كلياً - بعداً لايستطيع الإنسان أن يجعله موضوعاً للتحديد بمعرفة الباحثين الروحيين .

وفى هذه التجربة تتضح فى الغالب علامات معينه من النعمة الإلهية، وغالباً ما تكون الرؤية القادمة من العالم الآخر لكل أو بعض القريبين منها ، وليس فقط للشخص المحتضر . دعنا نذكر مجرد مثل واحد

من نفس محاورات القديس غريغوريوس :

" بينما كانوا يقفون حول سرير روميولا ليلاً ، لمع فجأة ضوء نازل من السماء ، وغمر الحجرة كلها . وأثارت روعته وتألقه الخوف والفزع فى قلوبهم.... ثم سمعوا صوت جمهور عظيم . وانفتح الباب على مصراعيه ، كما لو كان هناك حشد ضخم من الناس يندفعون من خلاله . وخامر الذين كانوا يقفون حول السرير انطباع أن الغرفة قد ازدحمت بالناس ولكنهم لسبب خوفهم المتزايد واللمعان العظيم ، لم يستطيعوا رؤيتهم . لقد شل الخوف حركتهم وبهر النور اللامع أبصارهم . وعند ذلك انتشرت رائحة جميلة فى الهواء فهدأت بعبيرها أرواحهم التى كانت لم تزل مرتعدة بسبب النور الفجائى.... وقالت روميولا فى صوت عذب وهى تنظر نحو أمها الروحية ردميتا : " لاتخافى يا أمى ، إننى سوف لا أموت الآن " . واستمر عبير الرائحة ثلاثة أيام ، وفى الليلة الرابعة دعت روميولا سيدتها مرة أخرى وطلبت أن تتناول من الأسرار المقدسة . وقليلاً ما بارحت ردميتا وتلميذتها الأخرى موقفهما بجوارها عندما نظرتا جوقتين من المرتلين تقفان فى المربع أمام دير الراهبات .... وانطلقت روح روميولا من الجسد لكى تنقاد الى السماء مباشرة . وبينما رافقت الجوقتان روحها ، مع الإرتفاع إلى أعلى ثم أعلى ، ضعف صوت ترتيلهما تدريجياً حتى أضمحلت موسيقى المزامير مع حلاوة الرائحة معاً . (المحاورات ٤ : ١٧) .

وسيتذكر المسيحيون الأرثوذكس أحداثاً مشابهة فى حياة قديسين عديدين (القديس صيصوى Sisoes ، والقديسة تائيس Thais ، والقديس المغبوط ثاوفيلس أسقف كييف ..... إلخ)

وعندما نتقدم فى دراستنا هذه لتجارب الإحتضار والموت علينا أن نتذكر الإختلافات الكبيرة التى بين التجربة العامة للإحتضار التى تثير الآن مثل هذا الاهتمام الكبير ، وبين تجربة الموت المباركة التى تحدث للمسيحيين الأرثوذكس الأبرار . وهذا سيساعدنا أكثر على أن نفهم بعض معالم تجارب الموت المثيرة للحيرة التى تحدث الآن والتى جرى وصفها .

وعلى سبيل المثال ، فإن الإنتباه إلى هذا الإختلاف يمكن أن يساعدنا فى تحديد التجليات التى يراها المحتضرون .

هل يحضر الأقارب والأصدقاء حقيقة من عالم الأموات لكي يظهروا للمحتضرين ؟ وهل هذه التجليات نفسها تختلف عن تجليات القديسين للمسيحيين الأبرار عند موتهم ؟

لكى نجيب عن هذا السؤال دعنا نتذكر أن الدكتور أوزيس والدكتور هارالدسون يوردان أن الكثير من المحتضرين الهندوس يشاهدون آلهة هيكلهم الهندوسى (كريشنا ، وشيفا ، وكالى ... الخ) غير الأقارب والأصدقاء القريبين الذين يتحدثون عن رؤيتهم فى أمريكا . ولكن هذه الآلهة كما يعلم بولس الرسول بوضوح ليست آلهة حقيقية (١كو ٨ : ٤-٥) وأن أى لقاء مع هذه الآلهة ليس فى حقيقته إلا لقاء مع الشياطين (١كو١٠: ٢٠) فمن هم الذين يراهم هؤلاء الهندوس حقيقة ؟ يعتقد الدكتور أوزيس والدكتور هارالدسون أن تحديد هوية الكائنات التى تحضر ، هو فى الغالب نتاج التفسير الانحيازى القائم على الخلفية الدينية والثقافية والشخصية . ويبدو هذا حكماً منطقياً يناسب جميع الحالات . أما فى الحالات الأمريكية فلابد أن يكون الأقارب الراحلون الذين يشاهدهم المحتضر غير موجودين بالفعل حسب ما يعتقده المحتضر . ويقول القديس

غريغوريوس الكبير أن الرجل المحتضر يعرف الناس ، حيث " يظهر قديسو السماء " للأبرار - وهذه ميزة لا تبين فقط التجربة المختلفة لدى الأبرار والخطاة العاديين عندما يموتون ، ولكنها مرتبطة مباشرة بحالة الحياة الخاصة بكل من القديسين والخطاة العاديين بعد الموت . إن القديسين لهم مطلق الحرية فى التشفع من أجل الأحياء والحضور لمساعدتهم ، بينما لايوجد اتصال ما بين الخطاة الراحلين والأحياء فيما عدا بعض الحالات الخاصة جداً.

وقد أوضح هذا الفارق القديس أوغسطينوس وهو أحد آباء اللاتين فى القرن الخامس - فى الرسالة التى كتبها بناء على طلب القديس باولينوس أسقف نولا حول موضوع " العناية بالموتى " حيث يحاول التوفيق بين الحقيقة المؤكدة عن أن الأموات بصفة عامة لايظهرون للأحياء .

وبعد عرض التعليم الأرثوذكسى المؤسس على نصوص الكتاب المقدس ، ويتلخص فى أن " أرواح الموتى موجودة فى مكان لاتشاهد منه الأشياء التى تحدث وتتضح فى هذه الحياة الفانية " (الفصل ١٣) ، وفى رأيه أن حالات ظهور الموتي للأحياء إنما تتم إما من خلال " أعمال الملائكة " أو أنها " رؤى مزيفة " تتم من خلال أعمال الشياطين الذين يبيتون فى أنفسهم أغراضاً مثل قيادة الناس نحو التعليم المزيف عن الحياة الآتية . (فصل ١٠) ويستمر القديس أوغسطينوس فى التمييز بين الظهورات الخيالية للموتى والظهورات الحقيقية للقديسين قائلاً :

" كيف يبين الشهداء عن طريق إحساناتهم التى يقدمونها لمن يطلبها، اهتمامهم بشئون البشر ، إذا لم يكن الموتى يعرفون ما يعمله الأحياء ؟ لأن فيلكس المعترف لم يكن يظهر من خلال عملياته الخيرية ، بل أنه كان يظهر عياناً للكثير من الناس عندما حاصر البرابرة مدينة نولا . وأنت (أيها

الأسقف باولينوس) تنال فرحة الأبرار عند ظهوره . لقد سمعنا عن ذلك ليس عن طريق الإشاعات المشكوك فيها ، ولكن عن طريق شهود موثوق بهم. والحقيقة هي أن الأشياء المقدسة التى أظهرت والتى تختلف عن النظام المعتاد فى الطبيعة قد أعطيت للأنواع المنفصلة من الأشياء الموجودة . وذلك لأن إلهنا ، عندما أراد ، أحال الماء إلى خمر فجأة ، ليس عذراً لنا فى عدم فهم قيمة الماء الحقيقية بصفته ماء . ومثل هذه المعجزة المقدسة نادرة ومتفردة فى طبيعتها .

ومرة أخرى نقول أن حقيقة إقامة لعازر من بين الأموات لا تعنى أن كل ميت يقوم عندما يريد ، أو أن الشخص الذى تجرد من الحياة يمكن إعادته إليها بمعرفة شخص حى مثلما يقوم الشخص النائم لدى سماعه استدعاء شخص متيقظ له بأن يستيقظ . هناك بعض الأحداث التى يختص بها الفعل البشرى ، بينما يعبر البعض الآخر عن علامات القدرة المقدسة . إن بعض الأشياء تحدث طبيعياً ، بينما يجري البعض الآخر بطريقة معجزية ، وبالرغم من أن الله حاضر فى العملية الطبيعية ، فأن الطبيعة تصاحب المعجزة الخارقة للطبيعة .

وعلى ذلك فإن الإنسان عليه ألا يظن أن أياً من الموتى يستطيع أن يتدخل فى شئون الأحياء لأن الشهداء يحضرون لشفاء أو مساعدة أشخاص معينين . وقد يظن البعض أن : " يشترك الشهداء من خلال القوة المقدسة فى أعمال الأحياء ، ولكن الموتى ليست لهم فى ذواتهم القدرة على التدخل فى شئون الأحياء ." (١)

(1) " Care for the Dead, Ch.16,in Saint Augustine, Treatises on Marriage and other subjects, The Fathers of the Church Vol.27,New york , 1955,P.378)

حقاً ، نستطيع أن نأخذ مثالاً عن الآباء القديسين المحدثين ، مثل القديس أمبروسيوس الكبير أسقف أويتينا الذى كان يعلم بأن الكائنات التى تتصل بالناس من خلال الوسطاء الروحيين ليست إلا شياطين وليست أرواح أشخاص من الموتى ، وإذا كان هناك أى معيار حكمى لدى هؤلاء الذين بحثوا ظاهرة تحضير الأرواح ، هذا إذا كان عندهم مطلقاً أى معيار مسيحي يحكمون من خلاله ، فإنهم كانوا سيتوصلون إلى نفس النتيجة (أنظر على سبيل المثال : كتاب - سيمون أ . بلاكمور Simon A.Blackmore وعنوانه : تحضير الأرواح : حقائق وحيل خداعة spiritism : Facts and Frauds - نشره .Benziger Bros فى نيويورك سنة ١٩٢٤) .

وعلى ذلك فلسنا بحاجة للشك فى أن القديسين يظهرون بشكل طبيعى للأبرار أثناء الموت كما جري وصف ذلك فى سير العديد من القديسين. ومن جهة أخرى فإننا نقول بالنسبة للخطاة العاديين غالباً ما تحدث ظهورات للأقارب والأصدقاء ، أو " الآلهة " التى ترتبط بما يتوقعه المحتضر أو أنه أعد نفسه لمشاهدته . وربما كان من المحتمل عدم القدرة على تحديد الطبيعة الدقيقة لهذه النوعية الأخيرة من الظهورات ، ولكنها ليست " هلوسة " بحتة، ولكن يبدو أنها جزء من التجربة الطبيعية للموت .(أو أنها) علامة للمحتضر على أنه على وشك الدخول فى مجال جديد حيث تنتهى قوانين الحياة المادية العادية . ولا يوجد شئ غير عادى بالنسبة لهذه التجربة يمكن اعتباره ثابتاً مع الأزمنة والأماكن والديانات المختلفة .

وفى العادة فإن تجربة الإلتقاء بأشخاص آخرين تحدث قبل الموت مباشرة ولاتتداخل مع اللقاء المختلف الذى سنصفه الآن ، ألا وهو الالتقاء مع " الكائن النورانى " .

٣ - الكائن النورانى

يصف الدكتور مودى هذه التجربة " على أنها أكثر العناصر غرابة في الحالات التي درستها ، وأكثرها تأثيراً على الإنسان " .

(الحياة بعد الموت ص ٥٦ من الترجمة العربية) ويصف معظم الناس هذه التجربة بأنها تتركز فى ظهور نور يزداد لمعانه سريعاً ، وتعرف الجميع عليه بصفته نوعاً من الكائنات الشخصية كان مفعماً بالدفء والحب ، وكان يجتذب الموتي حديثاً نحوه بنوع من الجاذبية المغناطيسية . ويبدو أن تحديد هذا الكائن كان يعتمد على الخلفية الدينية للشخص ، أما فى ذاته فإنه ليس له شكل محدد . البعض قال عنه أنه " المسيح " والبعض الآخر قال عنه أنه " ملاك " ولكن يبدو أن الجميع فهموا أنه كائن مرسل من مكان غير معروف لإرشادهم وإليك بعض الحكايات عن هذه التجربة :

" سمعت الأطباء يقولون أننى ميت ، وكان ذلك عندما بدأت أشعر بأننى أطفو .... كان كل شئ قاتم السواد فيما عدا مساحة الطريق المتجهة نحوى حيث كنت أرى هذا النور . كان نوراً شديد اللمعان ولم يكن كبيراً فى البداية ولكنه أخذ يكبر رويداً رويداً ، مع استمرارى فى الإقتراب منه..."(ص ٥٨ من الترجمة العربية) .

وبعد أن مات شخص آخر أحس بأنه يطفو " مرتفعاً من خلال هذا النور البللورى الصافى ... إنه نوع عجيب لايمكن أن تصفه على الأرض . ولم أشاهد شخصاً داخل هذا النور ولكنه كان يمثل شخصية خاصة بالتحديد.. إنه نور يعبر عن كمال الفهم وكمال الحب " . (ص ٥٩ من الترجمة العربية).

" لاشك أننى خرجت من جسدى لأننى كنت أرى جسدى هناك على منضدة غرفة العمليات . كانت روحى قد فارقتني ! فى البداية شعرت شعوراً سيئاً ولكن بعد ذلك ظهر هذا النور اللامع . كان معتماً فى البداية ثم تحول إلى شعاع فياض ... فى البداية عندظهور النور لم أكن متأكداً مما يجرى ولكن بعد ذلك سألنى إذا كنت مستعداً للموت " . (ص ٦٠ من الترجمة العربية) .

وغالباً ما كان هذا الكائن يبدأ الاتصال مع المنتقلين حديثاً (بطريقة الانتقال المباشر للأفكار وليس عن طريق الكلمات المنطوقة) وكان يقول دائما نفس الكلام الذي فسره الذين مروا بالتجربة على أنه " هل أنت مستعد للموت ؟ " أو " ما الذى فعلته فى حياتك وتريدنى أن أراه ؟ " (ص ٥٧ من الترجمة العربية) . وفى بعض الأحيان كان الشخص المحتضر يري نوعاً من استرجاع المواقف والأحداث الماضية فى حياة المحتضر . وقد أكد الجميع أن هذا الكائن كان يعرض نوعاً من " الحكم " على حياتهم أو أعمالهم ، وكان يشجعهم على المضى فى كشف حياتهم .

وقد ذكر الدكتور أوزيس والدكتور هارالدسون بعض التجارب عن مثل هذا الكائن من خلال دراساتهما ، منوهين بأن تجربة النور هى " خاصية نمطية لزوار العالم الآخر " (ص ٣٨) ، ويفضلان أن يتبعا الدكتور مودى فى تسميتها بالكائنات الروحية أو الآلهة وهى التسمية التى كان يطلقها عليها المحتضرون .

ما هى هذه الكائنات النورانية ؟ أو ماذا تكون ؟

إن الكثيرين يسمونها " ملائكة " ويشيرون إلى خواصها الإيجابية : إنها كائنات " نورانية " مفعمة " بالحب والفهم " وتغرس فى الأذهان فكرة "مسئولية " الشخص عن حياته . ولكن الملائكة المعروفين بالنسبة للتجربة المسيحية الأرثوذكسية أكثر تحديداً ، سواء فى الشكل أو الوظيفة ، عن تلك الكائنات النورانية " ولكى نفهم ذلك ، ونبدأ فى رؤية ماذا يمكن أن تكون هذه " الكائنات النورانية " فمن الضرورى أن نقدم المفهوم الأرثوذكسى عن الملائكة ، ثم نفحص ، بصفة خاصة ، طبيعة الملائكة المرشدة فى حياة ما بعد الموت .

الفصل الثانى

المفهوم الأرثوذكسى عن الملائكة

نعرف من كلمات السيد المسيح نفسه أن الروح عند الموت تلتقى بالملائكة . " ثم مات الفقير فحملته الملائكة إلى حضن ابراهيم " . (لوقا١٦:٢٢) .

أما بخصوص الشكل الذى تظهر به الملائكة فإننا نعرف أيضاً من الانجيل أنه " ملاك الله ، وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج " . (متي ٢٨ : ٢ - ٣) . ، " شاب متسربل بحلة بيضاء " . (مرقس ١٦ : ٥) ، " إذا برجلين قد وقفا بهن فى ثياب براقة " . (لوقا ٢٤ : ٤) . ، " ملاكان بثياب بيض " . (يوحنا ٢٠ - ١٢) .

وخلال التاريخ المسيحى كان ظهور الملائكة دائماً فى نفس هذا الشكل شبان لامعون متسربلون بثياب بيضاء . كذلك كان التقليد المحفوظ عن رسم ظهور الملائكة على مدى القرون ، يُظهرهم لنا فى صورة هؤلاء الشبان اللامعين ، (ولهم فى الغالب أجنحه تمثل أحد المعالم الرمزية والتي لاتظهر مع التجليات الملائكية) . وقد نص المجمع المسكوني السابع في القانون ٧٨٧ على أن الملائكة يجب أن تصور فقط بهذه الطريقة ، أى فى شكل رجال . أما كيوبيد الذى يظهر فى الفن الغربى فى عصر النهضة والفترات التالية ، فهو إلهام وثنى وليس له علاقة بالملائكة الحقيقيين .

حقاً ، لقد أبتعد الغرب الحديث الذى ينتمي إلى المذهب الكاثوليكى الرومانى والمذهب (البروتستانتى) عن تعاليم الكتاب المقدس ، والتقليد

المسيحى القديم ليس فقط بالنسبة للتصوير الفني للملائكة ، بل فى مفهوم الكائنات الروحية كله . ومن الضرورى لنا أن نفهم هذا الخطأ إذا أردنا أن نفهم المفهوم المسيحى الصحيح عن مصير الروح بعد الموت .

وقد لاحظ الأسقف إغناطيوس بريانشانينوف (المتوفى سنة ١٨٦٣) وهو أحد أباء القرن الماضى العظام ، هذا الخطأ ، وخصص مجلداً كاملاً من مؤلفاته لعرضه ، ونشر المفهوم الأرثوذكسى الصحيح حول هذا الموضوع (المجلد الثالث من طبعة توزوف Tuzov . سانت بطرسبرج سنة ١٨٨٦) ، وذلك بهدف نقد وجهات النظر التى وردت فى أحد المؤلفات التى نشرت خلال القرن التاسع عشر من الفكر اللاهوتى الكاثوليكى الرومانى النموذجى لصاحبه الأب بيرجيه وعنوانه : (القاموس اللاهوتى) (Abbe Bergier Dictionnaire de Theologie) وقد خصص الأسقف إغناطيوس جانباً كبيراً من مجلده المذكور(ص ص ١٨٥ - ٣٠٢) لمنازلة الفكرة الحديثة ، القائمة على أساس فلسفة ديكارت فى القرن السابع عشر ، القائلة بأن كل ما هو خارج نطاق المادة ينتمى ببساطة إلى نطاق " الروحيات الخالصة " . ومثل هذه الفكرة تضع الإله غير المحدود فى نفس مستوى الأرواح غير المحدودة (الملائكة والشياطين ، وأرواح المنتقلين) .

وقد أصبحت هذه الفكرة واسعة الانتشار فى هذه الأيام (بالرغم من أن الذين يتمسكون بها لاينتبهون إلى كل نتائجها) وتستخدم لتفسير الكثير من الخلط المنتشر فى العالم المعاصر فيما يتعلق بالكائنات "الروحية":

لقد أعطى اهتمام عظيم لكل شئ يقع خارج العالم المادى مع إبراز القليل من التفرقة بين ماهو مقدس ، أو ملائكى ، أو شيطانى ،أو ببساطة ما هو ناتج عن القوى الإنسانية غير العادية أو الناتج عن الخيال .

لقد عَلَّمَ الأب بيرجيه بأن الملائكة والشياطين وأرواح الراقدين ، هي كلها " كاملة الروحانية " وعلى ذلك فهى لاتخضع لقوانين الزمان والمكان ، وبناء على ذلك نستطيع أن نتحدث عن شكلها " أو " حركتها " بتعبيرات مجازية فقط وهى " تحتاج للدخول فى جسد محسوس عندما يسمح لها الرب بالدخول فى هذا الجسد " . (الأسقف إغناطيوس ، المجلد ١١١ ، ص ص١٩٣ - ١٩٥) .

ويكرر هذا التعليم كتاب آخر صادر فى القرن العشرين حول موضوع الروحية الحديثة حسب المفهوم الكاثوليكى الروماني فيذكر على سبيل المثال أن كلاً من الملائكة والشياطين " تستطيع أن تستعير الجسد الذى تحتاجه (لتصير منظورة للبشر) من طبيعة أدنى سواء كانت حية أو غير حية".[١]وقد أخذ دعاة الروحية والغيبيات بهذه الأفكار من الفلسفة الحديثة. وينتقد ك . س . لويس الإنجيلى وهو أحد المدافعين المحنكين عن المسيحية العالية على الطبيعة - " هذا المفهوم الحديث عن السماء الذى يقول بأنها مجرد حالة عقلية " [٢] ولكن لايزال هو نفسه يبدو متأثراً جزئياً بالرأى الحديث القائل بأن " الجسد ، والمكان ، والحركة ، والزمان ، لا صلة لها كلها بالمجالات العليا للحياة الروحية " . ووجهات النظر هذه ليست إلا نتيجة للتبسيط للحقيقة الروحية بتأثير المادية الحديثة وبسبب فقدان الصلة بالمفهوم المسيحى الأصيل والتجربة الروحية الأصيلة .

---

(1) Blackmore , " Spiritidm : Facts & Frauds " . P.522).
(2) C.S.Lewis , " Miracles " The Macmillan Company , New york , 1967 , pp.164 - 165

ولكى نفهم المفهوم الأرثوذكسى عن الملائكة والأرواح الأخرى ، على الانسان أن يطرح جانباً الانفصالية الحديثة الشديدة التبسيط عن " المادة - الروح " . إن الحقيقة أكثر تعقيداً من ذلك ، وهى فى نفس الوقت بسيطة جداً لدرجة أن هؤلاء الذين لايزالون جديرين بتصديقها من المحتمل أن يعتبروا " حرفيين ساذجين " ويكتب الأسقف إغناطيوس : " عندما يفتح الرب العينين الروحيتين لإنسان ، فإنه يكون جديراً برؤية الأرواح فى هيئتها الحقيقية " (ص ٢١٦) . " وعند ظهور الملائكة للناس فإنها تتخذ دائما شكل بشر " . (ص ٢٢٧) . وكذلك " يتضح من الكتاب المقدس أنه فى كافة الظهورات تتخذ الروح الإنسانية شكل رجل فى الجسد . مثل سائر الأرواح المخلوقة " (ص ٢٣٣) . وهو يذكر مجموعة من مصادر الآباء للتدليل على هذه النقطة . دعنا إذن ننظر فى تعليم الآباء لصالح أنفسنا .

يذكر القديس باسيليوس الكبير فى كتابه عن الروح القدس ، أن "طبيعة القوات السمائية تتلخص فى أن لها روحاً هوائية - إذا جاز هذا التعبير - أو ناراً غير مادية ... ولهذا السبب ، فهى محدودة بالمكان ، وتصير ظاهرة ، فتظهر لهؤلاء الذين يستحقون أن يروها ، فى شكل أبدانهم العادية . " ومرة أخرى " إننا نؤمن بأن كل واحد من القوات السمائية - موجود فى مكان محدد ، لأن الملاك الذى كان واقفاً أمام كورنيليوس لم يكن مع فيلبس فى نفس الوقت (أعمال ١٠ : ٣ ، ٨ : ٢٦) والملاك الذى خاطب زكريا قرب مذبح البخور (لوقا ١ : ١١) لم يكن فى نفس الوقت مكانه فى السماء " ، (الفصلان ١٦ ، ٢٣ من أعمال القديس باسيليوس - طبعة سويكين soikin ، سانت بطرسبرج سنة ١٩١١ ، مجلد ١- ص ص ٦٠٨ - ٦٢٢) .

وكذلك يعلمنا القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات قائلاً : " إن الأنوار الثانوية التى تلى الثالوث القدوس فى العظمة الملكية ، تتمثل فى الملائكة اللامعة غير المرئية . إنها تتجول بحرية حول العرش العظيم ، لأن لها عقولاً سريعة الحركة ، وهي شعلة من نور ، وأرواح مقدسة تنتقل بنفسها بسرعة خلال الهواء " . (عظة ٦ " عن الكائنات الروحية " فى أعمال القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات - فى اللغة الروسية - طبعة سويكين Soikin، سانت بطرسبرج - مجلد ٢ ص ٢٩) .

وعلى ذلك فإن الملائكة بينما هى " أرواح " و " لهيب نار " (مزمور ١٠٣ : ٥ ، عبرانيين ١ : ٧) ، وساكنة فى نطاق لا يقع تحت سيطرة القوانين الأرضية التى تحكم الزمان والمكان ، ولكنها محدودة بالزمان والمكان وتتصرف بأساليب مادية (إذا جاز التعبير) لأن بعض الأباء لايترددون في الحديث عن أجسام الملائكة " الهوائية " ويقول القديس يوحنا الدمشقى فى عرضه خلال القرن الثامن لتعاليم الأباء السابقين عليه : " بالمقارنة بنا ، نقول إن الملاك كائن غير جسدانى وغير مادى ، بالرغم من أنه بالمقارنة إلى الله ، الذى ليس كمثله شئ ، فإن كل ماعدا الله جسدانى ومادى - لأن الله هو وحده غير المادى وغير الجسدانى . "

ثم إنه يعلم قائلاً : " إن الملائكة كائنات محدودة لأنها عندما تكون موجودة فى السماء لا توجد على الأرض ، وعندما يرسلها الله إلى الأرض لاتبقى فى السماء . ورغم ذلك فإن الحوائط أو الأبواب أو القضبان أو الأختام لاتعوقها لأنها غير مقيدة . وأقول أنها غير مقيدة لأنها لاتظهر على حقيقتها للأبرار وللذين يشاء الرب أن تظهر لهم . على العكس ، إنها تظهر

فى شكل مختلف حتى يمكن للذين يشاهدونها أن يبصروها " .[1] .

ولاشك أن القديس يوحنا الدمشقى لايعارض القديس باسيليوس فى تعليمه بأن الملائكة " لاتظهر تماماً كما هى " بينما يعلمنا القديس باسيليوس بأن الملائكة تظهر " فى شكل هيئتها الجسمية " ، لأن كلا القولين صادق كما هو ملاحظ فى الظهورات العديدة للملائكة فى العهد القديم . وعلى ذلك فقد كان رئيس الملائكة رافائيل مصاحباً لطوبيا لعدة أسابيع دون أن يشك لحظة فى أنه ليس رجلاً . ولكن رئيس الملائكة رافائيل فى النهاية كشف عن ذاته قائلاً : " وكان يظهر لكم أنى آكل وأشرب معكم وإنما أنا أتخذ طعاماً غير منظور وشراباً لايبصره بشر " (طوبيا ١٢ : ١٩) . كذلك فإن الملائكة الثلاثة الذين ظهروا لابراهيم تظاهروا أيضا بأنهم يأكلون وظن أنهم رجال . (التكوين ١٨ : ١٩) . وكذلك ينصحنا القديس كيرلس الأورشليمى فى "محاضراته التعليمية " - بخصوص الملاك الذى ظهر لدانيال أن " دانيال عندما رأى رئيس الملائكة جبرائيل ارتجف وسقط على وجهه ، ،مع أنه كان نبياً إلا أنه لم يجرؤ أن يجاوبه حتى تحول الملاك بنفسه إلى شبه ابن إنسان"[2] ،نقرأ بعد ذلك فى سفر دانيال (الإصحاح العاشر) أن الملاك حتى أثناء ظهوره الأول الباهر كان فى شكل رجل مع مثل هذا الإشراق . (وجهه كمنظر البرق وعيناه كمصباحى نار ، وذراعاه ورجلاه كعين النحاس المصقول) . وهذا الإشراق لا تحتمله العيون الإنسانية .

---

(1) Catechetical Lectures Ix, 1, Eermands Nicene and post Nicene Fathers, Vol. VII, P.51 .

(2) Exact Exposition of the Orthodox Faith, II,3,in The Fathers of the Church, New yok, 1958, vol . 37 , PP.205 - 206.

وعلى ذلك فإن مظهر الملاك هو نفس مظهر الإنسان ، ولكن لأن "الجسد " الملائكى ليس مادياً وأن منظر التهابه اللامع يكفى لأن يذهل أى رجل يحيا فى الجسد ، فإن الظهورات الملائكية من الضرورى أن تتناسب مع مَنْ يرونها من البشر فتبدو أقل لمعاناً وأقل إيحاء بالرهبة مما هى فى حقيقتها.

وكذلك فإنه فيما يتعلق بالروح الإنسانية أيضاً يُعَلِّم القديس أوغسطينوس بأن الروح عندما تنفصل عن الجسد فإن " نفس الشخص الذى يمر بهذه الحالة بالرغم من أنه فى الروح فقط وليس فى الجسد ، إلا أنه يرى نفسه شبيهاً جداً بجسده بحيث لايستطيع أن يجد أى فارق بينهما " (مدينة الله - الكتاب ٢١ : ١٠) [١]

وقد تأكدت هذه الحقيقة الآن فى التجارب الشخصية لآلاف الناس الذين أعيدوا إلى الحياة فى وقتنا الحالى . ولكن إذا تحدثنا عن أجسام الملائكة وغيرها من الأرواح فعلينا أن نحرص على عدم نسبة أية خصائص مادية إليها . ويعلمنا القديس يوحنا الدمشقى بأنه " لايفهم شكل وتحديد هذه المادة سوى الخالق وحده " . [٢]

أما فى الغرب فقد كتب القديس أوغسطينوس أنها كلها سيان ، سواء كنا نتحدث عن " الأجساد الهوائية " للشياطين وغيرها من الأرواح أو نقول ببساطة أنها " غير جسدانية " . [٣]

---

(1) City of God , Book xxI, 10. Modern library edition, New york, 1955,P.781
(2) Exact Exposition, P.205
(3) City of God, xxI , 10, P.781

وربما كان الأسقف إغناطيوس نفسه شديد الاهتمام بتفسير " أجساد " الملائكة حسب مفاهيم المعرفة العلمية عن الغازات خلال القرن التاسع عشر ، ولهذا السبب نشب خلاف صغير بينه وبين الأسقف ثيوفان الناسك ، الذى كان يعتقد بأنه من الضرورى تأكيد أن الأرواح من طبيعة غير مركبة (أى لا تتكون بالطبع من جزئيات أولية مثل كافة الغازات) . وعلى أيه حال فإنه - فيما يختص بالنقطة الأساسية - كان متفقاً مع الأسقف إغناطيوس فى شأن الغلاف الرقيق الذى تمتلكه جميع الأرواح (أنظر كتاب الأب جورج فلورفسكى Fr.Georges Florovsky وعنوانه : أساليب اللاهوت الروسى Ways of Russian Theology ، نشر بالروسية فى باريس سنة ١٩٣٧ - ص ص ٣٩٤ - ٣٩٥) . ربما كان هناك بعض سوء فهم مماثل بالنسبة لنقطة ثانوية أو سؤال متعلق بالمصطلحات ، مما أدى إلى ظهور المعارضة التى قامت فى الغرب خلال القرن الخامس الميلادى عندما علم الأب اللاتيني سانت فاوستوس أسقف ليرنز بنفس هذا المفهوم عن " المادية " النسبية للروح ، المبنية على تعاليم آباء الكنيسة الشرقية .

وإذا كان التعريف المحدد للطبيعة الملائكية معروفاً لله وحده ، فإن فهم النشاط الملائكى (على الأقل فى هذا العالم) هو فى متناول كل فرد ، ويوجد العديد من الشهادات المؤيدة لهذا القول سواء فى الكتاب المقدس أو فى أقوال الآباء ، وأيضاً فى سير القديسين . ولكى نفهم تماماً الظهورات التى يراها المحتضرون علينا أن نعرف على وجه الخصوص كيف تظهر الملائكة التى سقطت (الشياطين) . إن الملائكة الحقيقية تظهر دائماً فى شكلها العادى (فيما عدا أنها تكون أقل لمعاناً عما هى عليه فى الحقيقة) ، وتتصرف بمفردها لتنفيذ إرادة ووصايا الله . أما الملائكة التى سقطت فإنها ،

من جهة أخرى ، بالرغم من أنها تظهر فى هيئتها الحقيقية (التى وصفها القديس سيرافيم الساروفى من واقع تجربته ، بأنها بشعة) ، إلا أنها فى العادة تنتحل مظاهر مختلفة وتعمل " معجزات " عديدة بفاعلية القوة التى أخذتها عن رئيس سلطان الهواء (افسس ٢ : ٢) . إن مسكنها الخاص هو الهواء ، وتتركز وظيفتها الأساسية فى غواية أو إرهاب الناس وبذلك تقودهم إلى إهلاك أنفسهم . وتتجه مصارعات المسيحيين ضد هؤلاء : " فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم ، بل مع الرؤساء ، مع السلاطين ، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد الشر الروحية فى السماويات " . (أفسس ٦ : ١٢) .

ويقدم لنا القديس أوغسطينوس فى رسالته غير المعروفة كثيراً والتى عنوانها " عرافة الشياطين " والتى كتبها عندما طلب إليه تفسير بعض ظهورات الشياطين التى تنتمى إلى العالم الوثني القديم ، نظرة عامة جيدة عن نشاطات الشياطين : " تتميز طبيعة الشياطين فى أنها تتفوق على خاصية الإدراك الحسى لدى الكائنات الأرضية ، من خلال الإدراك الحسي الذى يرتبط بالوسط الهوائى ، وكذلك بسرعتها الشديدة ، وبسبب الحركة الفائقة للأجسام الهوائية ، فإنها تتفوق بصورة لا مثيل لها ، ليس فقط فى الجانب الخاص بتحركات الإنسان والحيوان ، بل حتى فى الجانب الخاص بسرعة طيران الطيور . أما وقد امتلكت هاتين الخاصيتين ، اللتين هما من خصائص الجسم الهوائى ، ألا وهما بالتحديد حدة الإدراك وسرعة الحركة ، فإنها تستطيع التنبؤ والإعلان عن أشياء عديدة تعرفها مسبقاً . ويتعجب الناس من ذلك ، بسبب ضعف الإدراك البشرى . وقد اكتسبت الشياطين كذلك ، من خلال طول الفترة الزمنية التى يمتد اليها عمرها ، خبرة كبيرة في الأحداث أكثر مما لدى البشر الذين يعيشون حياة قصيرة المدى . وتستطيع الشياطين

من خلال هذه الخواص ، التى اكتسبتها من الجسم الهوائى لا أن تتنبأ فقط بالعديد من الأحداث التى ستحدث مستقبلاً ، بل أنها تقوم أيضاً بالعديدمن الأعمال المعجزية . " (١)

وقد جرى وصف العديد من معجزات وعروض الشياطين فى الحديث الطويل للقديس العظيم الأنبا أنطونيوس الذى تضمنته سيرته المدونه بقلم القديس أثناسيوس الرسولى ، حيث ورد أيضا ذكر أجسام الشياطين " الخفيفة الوزن " . (٢)

وكذلك فإن حياة القديس كبريانوس الذى كان ساحراً سابقاً ، تتضمن أوصافاً عديدة للظهورات والمعجزات الشيطانية كما يسردها أحد الذين شاركوا فى صنعها (أنظر : The Orthodox word,1967,No.5.).

وقد ورد وصف قديم لنشاط الشيطان فى الاجتماعين السابع والثامن للقديس يوحنا كاسيان أحد آباء القرن الخامس من بلاد الغال (فرنسا) وهو أول من نقل تعاليم الديرية الشرقية بكاملها إلى الغرب ، كتب القديس كاسيان قائلاً : " هناك حشد ضخم من الشياطين يملأ الهواء وينتشر ما بين السماء والأرض حيث يطيرون فى شغب ولكن بدون كسل ، وقد أخفتهم العناية الإلهية وأبعدتهم عن نظر الإنسان من أجل صالحنا والإ فإن الإنسان قد يذعر بالوقوع فى خوف لايحتمل ، ويوشك على الانهيار بسبب الخوف من هجومهم ، أو بسبب المناظر المخيفة للوجوه التى يتخذونها ويتحولون إليها بملء إرادتهم ...

(1) Ch. 11, edition of Eastern Orthodox Books, Willits, Calif., 1967 , PP. 19 - 29
(2) The Divination of Demons , ch.3,in the Fathers of the Church, Vol.27,P.426

" أما بخصوص أن الأرواح النجسة تحكمها القوى الأعظم شراً ، وهي تخضع لها ، فقد تعلمنا ذلك ليس فقط بشهادة الكتاب المقدس ، التى نقرؤها فى وصف رد مخلصنا على الفريسيين الذين افتروا عليه ، فقال : "وإن كنت أنا أخرج الشياطين ببعلزبول رئيس الشياطين " . (متى ١٢:٢٧)- ولكن أيضا بالرؤى الواضحة وخبرات القديسين العديدة .

عندما كان أحد إخوتنا مسافراً فى هذه الصحراء ، وجد مغارة معينة عند هبوط الليل ، فتوقف هناك ورغب فى أداء صلاة المساء فيها . وعندما كان يرتل المزامير كالعادة ، مر الوقت حتي شارف على نصف الليل . وبعد أداء قانون الصلاة أراد أن يريح جسده المتعب قليلاً ، فرقد على الأرض ، وبدأ فجأة يرى حشوداً عديدة من الشياطين قادمة من جميع الاتجاهات فى شكل صفوف طويلة ليست لها نهاية والبعض منها يتقدم رئيسها والبعض الآخر يتبعه ، وأخيراً جاء ابليس الرئيس وكان أطولها وأكبرها حجماً ، وأشدها بشاعة فى الشكل . وبعد أن نصب له العرش جلس على منصة مرتفعة ، وبدأ يفحص نشاط كل منها فى استجواب دقيق . أما هؤلاء الذين قالوا أنهم لم يقدروا بعد على إغراء خصومهم فقد أمر بطردهم من أمام وجهه مع التوبيخ والسباب ، لأنهم كسالى ومهملون ، معاتباً إياهم فى ثورة من الغضب لأنهم أضاعوا وقتاً طويلاً وجهداً بلا طائل . أما هؤلاء الذين أعلنوا أنهم قد أغروا من كلفوا بهم فقد صرفهم بتكريم عظيم مع تشجيعهم ومدحهم جميعاً بصفتهم أشجع المحاربين وأعظمهم كمثال للجميع .

" وتقدم أشد الأرواح شراً من بين صفوفهم وقرر فى فرح شرير ، صورة لإنتصاره ، بما يفيد أنه أخيراً هزم راهباً مشهوراً ، ذكر اسمه - لأنه بعد خمس عشرة سنة من الإغراء المتواصل أغراه هذه الليلة بالذات بالسقوط فى الزنى ...

وعند هذا التقرير انتشر فرح صاخب بين الجميع ، ثم رحل ، مشيعاً بأرفع درجات المديح من رئيس الظلمة ومتوجاً بالمجد . وعند اقتراب الفجر تلاشت كافة هذه الحشود الشيطانية واختفت عن الأنظار " . وأخيراً تبين الأخ الذى شهد هذا المشهد أن التقرير الذى قدم عن الراهب الساقط كان حقيقياً " .

وتحدث مثل هذه التجارب للمسيحيين الأرثوذكس حتى هذا القرن الحالى . أنها بوضوح ليست أحلاماً أو رؤى ، ولكنها تجارب حية عن الشياطين كما هى فى حقيقتها - ولكن فقط بعد أن تنفتح العيون الروحية للشخص ، يستطيع أن يرى هذه الكائنات التى لاتراها العيون البشرية . وحتي وقت قريب كان القليل من المسيحيين الأرثوذكس الذين لايجارون العصر أو البسطاء العقل هم الذين يعتقدون فى " الحقيقة الحرفية " لهذه القصص ، إلا أنه لايزال بعض المسيحيين الأرثوذكس حتى يومنا هذا يجدون صعوبة فى قبولها ، نظراً لانتشار الاعتقاد الحديث بأن الملائكة والشياطين "أرواح صرفة " ولاتتصرف بمثل هذه الأساليب المادية . وقد بدأت هذه القصص تبدو معقولة فى السنوات الأخيرة فقط مع الازدياد العظيم في النشاط الشيطاني . والآن فإن الانتشار الواسع لتجارب " ما بعد الموت " قد فتح مجال الحقيقة غير المادية أمام العديد من الناس العاديين الذين لم تكن لهم أيه صلة بالعلوم الغيبية ، وأصبح التفسير المترابط والصادق لهذا المجال ومافيه من الكائنات أحد متطلبات هذا العصر .

ولايستطيع أن يقدم هذا التفسير سوي المسيحية الأرثوذكسية التى حفظت المفهوم المسيحى الأصيل حتي يومنا هذا .

والآن ، دعنا نري بأكثر تحديد ، كيفية ظهور الملائكة (والشياطين) عند لحظة الموت .

الفصل الثالث

ظهور الملائكة والشياطين ساعة الموت

يلتقى المتوفى حديثاً ، فى هذه التجارب بملاكين ، وإليك ما ذكره مؤلف كتاب : مالا يصدقه الكثيرون Unbelievable for many فى وصف هذين الملاكين حيث قال : " ما أن نطقت المرضة العجوز بهذه الكلمات فى صعوبة (ليته يرث ملكوت السموات) حتى ظهر ملاكان إلى جانبى ، ولسبب ما تعرفت على أحدهما بصفته ملاكى الحارس ، ولكن الآخر لم يكن معروفاً لى " ، (ص ٢٢) . (وفيما بعد ذكر له أحد السياح الأتقياء أنه كان " ملاك الاجتماع ") . وقد ذكرت القديسة ثيودورة التى وردت قصة رحلتها بعد الموت وخلال منازل الانتقال الهوائية - فى سيرة القديس باسيليوس الجديد (القرن العاشر) مايلى : " عندما كنت فى أواخر أيام قوتى : رأيت فجأة(اثنين متألقين من ملائكة الله ، كانا مثل شابين مضيئين، وفى جمال لايعبر عنه . كان وجه كل منهما أشد لمعاناً من الشمس، وكانت نظرتهما مفعمة بالحب ، وكان شعر رأسيهما أبيض مثل الثلج . وقد تدفق حول رأسيهما وهج ذهبى ، وكانت ملابسهما تلمع مثل البرق ، وقد تمنطقا حول الصدر بوشاحين ذهبيين على شكل صليب " : [1] وكذلك يصف القديس سالفيوس أسقف بلاد الغال فى القرن السادس الميلادى - تجربته الخاصة بالموت فيقول : " عندما اهتزت صومعتى منذ أربعة أيام مضت ، ورأيتمونى راقداً ميتا ، كنت قد رفعت على أيدى ملاكين حملانى إلى أعلى ذروة فى السماء " (القديس غريغوريوس أسقف تورز : تاريخ الفرنجة

(1) Eternal Mysteries Beyond the Grave , P.7o.

History of the Franks ، الجزء السابع الفصل الأول - أنظر حياة القديس سالفيوس فى The Orthodox World سنة ١٩٧٧ - العدد الخامس) .

أما مهمة هذين الملاكين فهى أخذ روح المتنيح حديثاً فى رحلتها إلى عالم ما بعد الموت ، وليس شئ غامضاً بالنسبة لهما سواء فى الشكل أو العمل . ونظراً لأن لهما شكلاً بشرياً ، فإنهما أمسكا بقوة " الجسم الرقيق " للروح (فى ثبات) ونقلاه بعيداً " أخذ الملاكان المنيران روحى بين أذرعهما سريعاً". (القديسة ثيودورة - أنظر : أسرار الأبدية Eternal Mesteries - ص (٧) " أما وقد أمسكنى الملاكان من الذراعين ، فقد حملانى خلال حائط العنبر... " [١] . لقد " رفع الملاكان القديس سالفيوس " وفى الإمكان ذكر العديد من هذه الأمثلة .

ولذلك لايمكن الجزم بأن " الكائن النورانى " فى تجارب اليوم . الذى ليس له شكل منظور ، والذى لايقود الروح إلى أى مكان ، والذى لايدخل مع الروح فى حوار ، إنما يعرض شريطاً عن أحداث الماضى فى حياة المتوفى- إنه ملاك مرشد من العالم الآتى . وليس كل كائن يظهر فى شكل ملاك هو كذلك فى حقيقة الأمر ، لأن الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور. (٢ كورنثوس ١١ : ١٤) . ولذلك فإن هذه الكائنات حتى بدون شكل الملائكة لايمكن تحديدها بالتأكيد على أنها ملائكة . ويبدو أن اللقاءات الحقيقية مع الملائكة لا تحدث اليوم فى " تجارب ما بعد الموت " لسبب سنشرحه فيمايلى .

---

(1) Unbelievable for many , P.22

فهل من الممكن إذن أن يكون " الكائن النورانى " فى حقيقته شيطاناً متنكراً في هيئة " ملاك نورانى " ليس له شكل محدد لكى يغرى المحتضر حتي فى اللحظة التى تفارق فيها الروح الجسد ؟ (دكتور مودى : الحياة بعد الموت – ص ١٣١- ١٣٢ من الترجمة العربية ، أضواء على الحياة بعد الموت - ص ٥٣ - ٥٤ من الترجمة العربية) . وكذلك هناك محققون آخرون يثيرون هذا السؤال فقط لاستبعاد الاحتمال الذى لايتناسب مع النتائج " الطيبة " التى يولدها هذا الظهور فى نفس الشخص المحتضر . ولابد أن نتأكد من أن وجهات النظر التى تتحدث عن الشر عند هؤلاء المحققين ساذجة فى غلوها . ويظن الدكتور مودى أن " الشيطان لابد وأن يطالب أتباعه بإتباع سبل الكراهية والتدمير " . (الحياة بعد الموت ، ص ١٣١ من الترجمة العربية) . ويظهر أنه غير مدرك تماماً للأدب المسيحى الذى يصف الطبيعة الحقيقية لإغراءات الشيطان ، التى يقدمها لضحاياه على أنها شئ " طيب ".

إذن - ما هو التعليم الأرثوذكسى عن إغراءات الشيطان ساعة الموت؟ يقول القديس باسيليوس الكبير فى تفسيره لكلمات المزمور : خلصنى من كل الذين يطردوننى ونجنى ، لئلا يفترس كأسد نفسى هاشماً إياها ولا منقذ " . (مزمور ٧ : ١ - ٢) . أعتقد أن " رجال الله الأبطال المجاهدين الذين صارعوا الأعداء غير المنظورين خلال حياتهم كلها ، وبعد أن نجوا من كافة اضطهاداتهم ووصلوا إلى نهاية حياتهم ، يختبرون بمعرفة ملك العالم لكى يعتقلهم إذا وجد فيهم جروحاً بسبب المصارعة أو أية بقع أو آثار للخطية . أما إذا لم توجد فيهم أيه جروح ووجدوا بلاخطية فإنهم يدخلون إلى راحتهم بمعرفة السيد المسيح لأنهم أحرار ولم ينهزموا . ولذلك فإن النبى يصلى من أجل حياته هنا ، ومن أجل حياته الآتية . عن حياته هنا يقول : " من الذين يطردوننى " . وهناك عند لحظة المحاكمة : " خلصنى

لئلا يفترس كأسد نفسى هاشماً إياها . " وهذا هو ما تستطيع أن تتعامه عن السيد المسيح نفسه الذى قال قبل معاناته للآلام : " لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فىّ شئ . " (يوحنا ١٤ : ٣٠) . (المواعظ التفسيرية للقديس باسيليوس St . Basil , Exegtic Homilies . الناشر : Catholic University of American Press - سنة ١٩٦٣ ، ص ص ١٦٧ - ١٦٨) . (*)

حقاً ، ليس المجاهدون المسيحيون وحدهم هم الذين تواجههم الشياطين فى ساعة الموت ، ويصف القديس يوحنا ذهبى الفم فى مجموعة عظاته عن الإنجيل للقديس متى ، ما يحدث غالباً للخطاة العاديين عند موتهم فيقول : " إن معظم الناس يسمع عنهم أنهم يرون مخاوف شديدة ، ورؤى مرعبة ، لن يحتمل المحتضرون رؤيتها ولكنهم يهزون سريرهم بقوة عظيمة ، ويحملقون فى الواقفين حولهم فى هلع ، وتحاول الروح أن تدفع نفسها إلى الجسد غير راغبة فى الانسلاخ منه ، وغير قادرة على احتمال رؤية الملائكة التى تقترب منها . وإذا كنا كبشر يداخلنا خوف شديد لدى رؤيتهم ، عندما نرى الملائكة تهددنا مع القوى الصارمة ، قادمة بين زوارنا ، فما هو الشئ الذى لن نعانيه ونحن نرى الروح تجبر على مفارقة الجسد وتسحب بعيداً عنه وتنتحب كثيراً ، بلا جدوى ؟ (موعظة ٥٣ على إنجيل متى - أقوال الآباء بعد مجمع نيقية[1]

(*) تعود هذه القطعة بصفة خاصة - إلى مراكز التفتيش ، التى يقابلها المنتقل بعد الموت . وفى الفصل السادس الذى سيرد فيما بعد ، سنجد مناقشة تفصيلية لتجربة المحاكمات الشيطانية والإغراءات التى تواجه الروح قبل وبعد الموت .

(1) Nicene and Post Nicene Fathers, Eerdmans edition, 1973,vol.10, PP.331-332

ويوجد فى السير الأرثوذكسية للقديسين ، العديد من هذه الحكايات المتعلقة برؤية الشياطين التى تظهر عند لحظة الموت ، عادة بغرض تخويف الشخص المحتضر حتى يصير يائساً من جهة خلاص نفسه . وعلى سبيل المثال فإن القديس غريغوريوس يحكى في محاوراته ، حكاية رجل غنى كان عبداً للكثير من الشهوات : " وقبل موته بوقت قصير ، رأى أرواحاً شنيعة تقف أمامه ، مهددة إياه بشدة بأنها ستحمله إلى أعماق الجحيم ... وقد تجمعت الأسرة كلها حوله ، تبكى وتنتحب ، وبالرغم من أن أفراد الأسرة لم يستطيعوا أن يروا الأرواح الشريرة وهجماتها المرعبة ، إلا أنهم عرفوا من تصريحات المريض نفسه ، ومن شحوب وجهه ، ومن جسده المرتعش ، أن الأرواح الشريرة كانت موجودة . ومع الخوف المميت من هذه الصور المفزعة أخذ يتقلب على فراشه من جانب إلى جانب آخر ... ثم بعد أن فقد الأمل ويئس من أى راحة ، صرخ :

- امنحونى فرصة حتى الصباح ! ابتعدوا على الأقل حتى الصباح ! - وحينذاك انتزعت حياته منه . " (المحاورة الرابعة ، فصل ٤٠ - ص ص ٢٤٥ - ٢٤٦) . ويحكى القديس غريغوريوس أحداثاً أخرى مشابهة كما يفعل ذلك أيضا بيدى فى كتابه : تاريخ الكنيسة والشعب الانجليزى History of the English Church & People (الكتاب الخامس ، الفصلان ١٣ ، ١٥) . وحتى فى أمريكا خلال القرن التاسع عشر ، لم تكن مثل هذه الخبرات غريبة إطلاقاً ، فهناك مجموعة من منتخبات أدبية حديثة تتضمن رؤى حدثت على سرير الموت خلال القرن التاسع عشر لخطاة لم يتوبوا ، تحت عناوين مثل : " إننى فى اللهيب - اسحبونى خارجاً ! " ، " آه - أنقذونى ! إنهم يسحبوننى إلى أسفل ! " ، " إننى ماض إلى الجحيم ! "، "

إن الشيطان قادم ليسحب روحى إلى أسفل الجحيم ! " (١)

ولايذكر الدكتور مودى شيئاً مثل ذلك . والحقيقة أن كافة خبرات المحتضرين فى كتابه (فيما عدا حالات الانتحار ، أنظر ص ص ١٢٢ - ١٢٣ من الترجمة العربية) هى خبرات سارة ، سواء كان المحتضرون مسيحيين أو غير مسيحيين ، ومتدينين أو غير متدينين. ومن جهة أخري فإن الدكتور أوزيس والدكتور هارالدسون ، قد وجدا فى دراساتهما شيئاً لايختلف عن ذلك كثيراً .

لقد وجد هذان الباحثان فى دراساتهما الأمريكية نفس النتائج التى توصل اليها الدكتور مودى : ظهور زوار من العالم الآخر فى شكل إيجابى ، بحيث يرحب المريض بالموت ، وكانت الخبرة تبدو سارة ، وتدعو إلى الصفاء والبهجة وغالباً ما يتوقف الألم قبل الاحتضار. أما فى الدراسة الهندية فإن ثلث المرضى الذين شاهدوا رؤى ، قد عاشوا تجربة الخوف والإحباط والقلق الناتجة عن ظهور رسل الموت الذين يطلق عليهم فى الديانة الهندوسية اسم (يامدوت - Yamdoots) ، أو غيرها من الكائنات ، ويناضل هؤلاء الهنود ويحاولون الهروب من رسل العالم الآخر . وعلى ذلك ففى إحدى التجارب ذكر أحد العاملين بالكهنوت الهندى عندما كان يحتضر : " هوذا شخص يقف هناك ! إن معه عربة يد ولابد أنه يامدوت ! لابد أنه سيأخذ شخصاً معه . أنه يضايقنى قائلاً أنه سيأخذنى ! ... من فضلكم احملونى ، امسكونى ، لن أذهب " وتزايدت آلامه ثم مات . (٢)

---

(1) John Myers, " Voices from the Edge of Eternity, spire books, Old Tappan, N.J., 1973, PP.71,109,167,196.. etc
(2) At The Hour of Death , P.90

وقال أحد الهندوس المحتضرين فجأة : إن يامدوت قادم ليأخذنى بعيداً . أنزلونى عن السرير حتي لايجدنى يامدوت " وأخذ يشير إلى الخارج وإلى أعلى قائلاً : " إنه هناك " . وكانت هذه الحجرة بالدور الأرضى فى إحدى المستشفيات . وكانت توجد خارج البناء إلى جانب الحائط ، شجرة كبيرة وقف على فروعها العديد من الغربان ، وبمجرد أن دخل المريض فى الرؤيا حتى طارت جميع الغربان عن الشجرة محدثة ضجة كبيرة كما لو كان قد أطلق عليها أحد الأشخاص عياراً نارياً . وقد عجبنا لذلك جداً وجرينا خارجاً من خلال باب مفتوح فى الحجرة ، ولكننا لم نر شيئاً يمكن أن يكون قد أثار الغربان . ولما كان المعروف عنها أنها مسالمة فى العادة ، فلذلك كان يوماً مشهوداً بالنسبة لنا نحن الذين كنا حاضرين عندما طارت الغربان فى صخب شديد ، تماماً أثناء الوقت الذى كان فيه المريض يشاهد الرؤيا . وبدا كما لو أنها هى أيضاً قد عاينت شيئاً مريعاً . وعندما حدث ذلك ، وقع المريض فى غيبوبة وقضى بعد ذلك نحبه . " (ص ص ٤١ - ٤٢) . إن بعض اليامدوت لها مظهر مرعب وتسبب أيضاً فزعاً للمحتضر أكثر من ذلك ، وهذا هو الفرق الجلى بين التجربة الأمريكية والتجربة الهندية للاحتضار فى دراسة الدكتور أوزيس والدكتور هارالدسون ، ولكن المؤلفين لا يقدمان أى تفسير له . ويتعجب الإنسان حقاً : لماذا تخلو التجربة الأمريكية الحديثة تماماً من عنصر «الخوف» الناتج عن الظهورات المخيفة من العالم الآخر - والتى هى عادية جداً في التجربة المسيحية فى الماضى والتجربة الهندية فى الحاضر ؟

ليس من الضرورى لنا تحديد طبيعة رؤى المحتضرين بدقة لكى نرى أنها تعتمد إلى حد ما على ما يتوقع الشخص المحتضر أن يراه أو ما جهز نفسه لرؤيته ، كما رأينا منذ قليل . وعلى ذلك فإن المسيحيين فى القرون الماضية والذين كانت لديهم عقيدة واضحة فى وجود الجحيم ، والذين أدانهم

ضميرهم فى النهاية ، كانوا غالباً ما يشاهدون الشياطين عند الموت . وغالبا ما يرى هنود اليوم الذين هم أكثر بدائية فى معتقداتهم وفهمهم بالنسبة للأمريكيين ، كائنات ترتبط بمخاوفهم الحقيقية الراسخة عن الحياة الأخري ، بينما يرى الأمريكيون المعاصرون حسب ما لديهم من وجهات نظر مستنيرة ظهورات تنسجم مع حياتهم " المريحة " ومعتقداتهم ، التى لا تتضمن عادة ، خوفاً حقيقياً من الجحيم أو إدراكاً للشياطين .

أما من الناحية الموضوعية ، فإن الشياطين ذاتها تعرض إغراءات تتمشى مع الحالة الروحية للمجربين أو تتناسب مع توقعاتهم . بالنسبة لهؤلاء الذين يخافون الجحيم ، قد تظهر لهم الشياطين فى أشكال مرعبة لكى تجعل الشخص يموت فى حالة من اليأس ، أما بالنسبة لهؤلاء الذين لايؤمنون بالجحيم (أو بالنسبة للبروتستانت الذين يعتقدون بأنهم "مخلصون " بالتأكيد ولذلك فإنهم ليسوا بحاجة للخوف من الجحيم ، فإن الشياطين قد تعرض الإغراءات فى أشكال أخرى لا تكشف عن مقاصدها الشريرة . وكذلك فإنها حتى بالنسبة للمجاهد المسيحى الذى عانى الكثير، قد تظهر بطريقة تغويه أكثر من أن تخيفه .

إن الإغراءات الشيطانية التى حاصرت القديسة مورا ، شهيدة القرن الثالث عند استشهادها ، تقدم لنا نموذجاً طيباً لهذا النوع من الإغراء عند ساعة الموت . ذلك أنها بعد أن صلبت لمدة تسعه أيام مع زوجها القديس تيموثاوس ، أغراها الشيطان . وتبين لنا سيرة هذين الشهيدين كيف أن القديسة مورا نفسها ذكرت الإغراءات التى لاقتها لزوجها ورفيقها فى الاستشهاد قائلة :

" تشجع يا أخي ، وأبعد النوم عن نفسك . كن يقظاً واعرف ما رأيته أنا ، لقد تمثل لي ذلك أمامي ، عندما كنت في نوع من الغيبة عن الحواس ، فإذا برجل بيده كأس ممتلئة باللبن وعسل النحل ، وقال لي هذا الرجل : " خذي هذه واشربيها " ولكنني قلت له : " من أنت ؟ " فأجاب : " إنني ملاك من عند الله " . فقلت له : " إذن دعنا نصلي إلى الله . " فقال لي : " لقد جئت إليك لأخفف من معاناتك ، ورأيت أنك شديدة الرغبة في أن تأكلي وتشربي ، لانك لم تتناولي أي طعام حتى هذه اللحظة . " فقلت له : " من ذا الذي أوعز إليك بإظهار هذه الشفقة نحوي ؟ وما الذي يهمك من صبري وصومي ؟ ألا تعرف أن الله قادر على عمل مالا يستطيعه الإنسان ؟ وعندما صليت ، رأيت ذلك الرجل وهو يحول وجهه بعيداً نحو الغرب . وعرفت من هذا أن ذلك كان إغراء شيطانياً ، فالشيطان أراد أن يغرينا حتى ونحن على الصليب ، وسرعان ما انقشعت الرؤيا " .

" ثم جاءني رجل آخر وتمثل لي أنه قد أحضرني إلى نهر يفيض باللبن وعسل النحل ، وقال لي : " اشربي " ولكنني أجبت : " لقد قلت لك حالاً أنني لن أشرب الماء أو أي مشروب أرضي آخر حتي أشرب كأس الموت لأجل سيدي المسيح ، الذي سيخلطه لي بالخلاص وخلودَ الحياة الأبدية " . وعندما قلت ذلك ، شرب ذلك الرجل من النهر ، وفجأة اختفى هو والنهر معاً . "(سير القديسين بالروسية ، ٣ مايو ، أنظر الترجمة الانجليزية لها في كتاب S.J., J.A.M. Faster - وعنوانه : أعمال الشهداء الأوائل The Acts of the Early Martyrs ، الكتاب الخامس ، نشر في فيلادلفيا سنة ١٨٧٨ ، ص ص ٢٢٧ - ٢٢٨)

أما الرؤيا الثالثة للقديسة مورا فقد تمثلت فى ملاك حقيقى . سنذكرها فيما بعد فى هذه الدراسة ، ولكن يتضح لنا هنا مدى الحذر الذى كان يتبعه المسيحيون الأمناء فى قبول " الرؤى " عند لحظة الموت .

إذن فإن ساعة الموت هى فى الحقيقة لحظة مناسبة لإغراءات الشيطان، وأن الخبرات الروحية التى يخوضها الناس فى وقتنا الحاضر (حتى إذا بدا أنها تحدث بعد الموت - وهي نقطة سنناقشها فيمايلى) ينبغى إخضاعها لنفس معيار التعليم المسيحي مثل أى خبرات روحية أخرى . وكذلك فإن الأرواح التى تحضر فى ذلك الوقت ينبغى إخضاعها للاختبار العالمى الذى عبر عنه القديس يوحنا فى قوله " امتحنوا الأرواح هل هى من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم . " (يوحنا الأولى ٤ : ١) .

وقد أشار بعض الناقدين لتجارب " ما بعد الموت " الحالية إلى التشابه بين " الكائن النورانى " وبين " الأرواح المرشدة " و " الأصدقاء الروحيين " فى الوساطة الروحية . ولذلك فإننا سننظر باختصار فى التعاليم الخاصة بأبحاث العلوم الروحية التى تتحدث عن الكائنات النورانية ورسائلها .

وهناك كتاب مثالى في هذا الموضوع [1] يذكر فيه مؤلفه ج . آرثرهيل أن تعليم " الأرواح " يتمشى دائما مع المعايير الأخلاقية الرفيعة ، وهى دائماً موقرة ومؤمنة فيما يتعلق بالعقائد ، ولكنها لاتهتم كثيراً بالتعبيرات الفكرية مثل تلك التى انشغلت بها عقول الأساقفة فى المجامع الكنسية " (ص ٢٣٥) . وأكثر من ذلك فإن هذا الكتاب يذكر أن المحبة

---

(1) J.Arthur Hill,Spiritualism , Its History , Phenomena and Doctrine , New york , George H. Doran Co., 1919

هى الأساس ومحور الارتكاز الفكرى للتعليم الروحى (ص ٢٨٣) ، وأن المعرفة الرائعة ، يتلقاها الإنسان من الأرواح ، حيث يتحمل الباحثون فى المجال الروحى مهمة العمل على نشر معرفة أن الحياة بعد الموت حقيقة مؤكدة. (ص ص ١٨٥ - ١٨٦) ، وأن " الأرواح " تفقد " قيود " الشخصية وتصبح أكثر شبهاً بالتأثيرات عنها بالأشخاص ، وتصبح أكثر وأكثر امتلاء بالنور (ص ص ٣٠٠ - ٣٠١) . حقاً ، إن أصحاب الروحية يستنجدون حرفياً فى ترانيمهم " بالكائنات النورانية " :

ياخدام النور المقدسين !

المخفيين عن أبصارنا الفانية

أرسلوا رسلكم الذين من نور

ليفتحوا بصيرتنا الداخلية . (ص ص ١٨٦ - ١٨٧)

وفى هذه الكفاية لدفع الإنسان إلى الشك فى " الكائن النورانى " الذى يظهر الآن للناس الذين هم على غير دراية بطبيعة ودهاء أعمال الشياطين . ويتزايد شكنا فقط عندما نسمع الدكتور مودى يسوق تقريراً بأن البعض يصف هذا الكائن بأنه شخص مرح . ذو دعابة وفكاهة ، يتحدث مع المتوفى بروح لطيف مرح (الحياة بعد الموت - ص ص ٤٩ - ٥١ من الترجمة العربية) . ومثل هذا الكائن مع رسالته عن " الحب والفهم " يشبه الأرواح التافهة والمعتدلة المزاج فى جلسات الوسطاء الروحيين التى هى من دون شك شياطين (إذا لم تكن الجلسة نفسها عملية خداع) .

وقد أدت هذه الحقيقة بالبعض إلى إدانة كافة خبرات ما بعد الموت ، التي قالوا عنها أنها خداع شيطانى . ويعلن كتاب بقلم أحد البروتستانت الإنجيليين أننا " نشعر بوجود أخطار معينة ، جديدة وغير معتادة ، فى خدعة الحياة بعد الموت هذه . ومع التشكيك فى التجارب الإكلينيكية ، فإننا نشعر بإمكانية حدوث نتائج خطيرة بالنسبة للناس الذين يؤمنون بالكتاب المقدس . وقد قال أكثر من مسيحى مخلص بأنه قد سلم بحقيقة أن الكائن النورانى ليس إلا يسوع المسيح ذاته . ولسوء الحظ فإن هؤلاء الناس فى موقف المغفلين " . (١)

ولتغطية هذه النقطة أورد مؤلفا هذا الكتاب بعض المقارنات بين بعض تجارب ما بعد الموت الحالية وتجارب الوسطاء وعلماء الغيبيات فى الأزمنة السابقة ، بالاضافة إلى حقيقة أن عدداً من الباحثين فى تجارب ما بعد الموت من المهتمين أيضا بالغيبيات ، وعلى صلة كذلك بوسطاء روحيين (ص ص ٦٤ - ٧٠) .

ويوجد بالطبع جانب كبير من الحقيقة فى هذه الملاحظات ، ولسوء الحظ فإنه من الممكن بدون التعليم المسيحي الكامل عن الحياة بعد الموت ، أن يضل الكثير من الناس المؤمنين بالكتاب المقدس ، مع استبعاد التجارب الحقيقية للروح بعد الموت ، مع تلك التجارب التى قد تكون خدعاً شيطانية، ومثل هؤلاء الناس أنفسهم مستعدين لقبول التجارب المضللة عن الحياة بعد الموت ، كما سنرى فيمايلى :

(1) John Weldon and Zola Levitt, " Is There life After Death ? " Harvest House Publishers, lrvine , Calif. 1977 , P.67.

يذكر الدكتور أوزيس والدكتور هارالدسون اللذان كان لهما معاً تجارب أولية مكثفة مع الوسطاء ، بعض التشابه بين رؤى المحتضرين والتجارب الروحية . وعلى أيه حال فإنهما يوردان " تناقضاً واضحاً " بين هذين النوعين من التجارب " بدلاً من استمرار النوع العادى من الحياة (التى يصفها الوسطاء) ، يبدو البقاء القابل للفحص وقد انغمر فى حالة من البقاء الجذرى مع ظهور أسلوب جديد للممارسة . " [1] حقاً ، إن مجال تجارب ما بعد الموت يبدو فى مجمله مختلفاً عن المجال العادى للوساطة الروحية ، ولكنه لايزال مجالاً يحتمل أن تظهر فيه الخدع الشيطانية ليس ذلك فقط بل أنها متوقعة إيجابياً خاصة فى الأيام الأخيرة التى نعيشها الآن حيث نرى بالفعل خدعاً روحية أحدث وأكثر دهاء حتى أنهم " يأتون بآيات عظيمة وأعاجيب حتي يضلوا لو أمكن المختارين أنفسهم " . (متى ٢٤ : ٢٤) .

ولذلك فإنه من المناسب لنا أن نكون متشككين (على الأقل) فيما يتعلق بالكائنات النورانية التى يبدو أنها تظهر فى لحظة الموت . إنها تبدو شديدة الشبه بالشياطين التي تتخذ شكل " ملائكة نورانية " لكى تخدع ، ليس فقط الشخص المحتضر وحده ، بل أيضا هؤلاء الذين سيقص عليهم قصته إذا أعيد إلى الحياة (فيما يتعلق بالفرص التى تتنبه اليها الشياطين بالطبع) .

وأخيراً ، فإن حكمنا على هذه وتلك من ظواهر ما بعد الموت يستند على المبدأ الذى ينبثق عنها سواء أعطى عن طريق بعض " الكائنات الروحية " التى ترى لحظة الموت ، أو اشتمل ببساطة أو بشكل استدلالى على

(1) At the Hour of Death , P.200

الظاهرة. وسنقترب من السؤال الخاص بهذا الحكم بعد أن ينتهى فحصنا للظواهر نفسها .

إن الناس الذين ماتوا وعادوا - خاصة هؤلاء الذين هم متدينون أو الذين أصبحوا أكثر " تديناً " - قد حددوا " الكائن النورانى " الذى التقوا به ليس بأنه ملاك ، بل قالوا أنه كان يمثل الحضور غير المرئى للسيد المسيح نفسه . وترتبط هذه التجربة لدى هؤلاء الناس بظاهرة أخرى ربما بدت بالنسبة للمسيحيين الأرثوذكس للوهلة الأولى كأنها أكثر الظواهر إرباكاً فى تجارب ما بعد الموت المعاصرة ألا وهى : رؤية " السماء " .

الفصل الرابع

رؤيـــة الســمــا ء

يلاحظ الدكتور مودى فى كتابه - الحياة بعد الموت - أن الأشخاص الذين تقابل معهم وتحدثوا إليه ، يبدو أنهم لم يجدوا شيئاً من تلك الصور التى ترسمها الأساطير لما بعد الموت ، بل ربما يميل إلى عدم الإعتقاد فى وجهة النظر المألوفة عن السماء والجحيم وكل ما يقال عن الجزاء والعقاب فيما بعد الموت " . (ص ٩٠ من الترجمة العربية) .

ويقرر أيضاً فى كتابه - أضواء على الحياة بعد الموت - أن مقابلاته الأخيرة ، كشفت عن تجارب لما بعد الموت ، واسعة الانتشار عن " عوالم أخرى للوجود يمكن أن يطلق عليها أنها - سمائية " . (ص ١٩ من الترجمة العربية) فمثلاً وجد رجل نفسه فى " الريف بما يضمه من جداول مياه وحشائش وأشجار وجبال " . (ص ٢٠ من الترجمة العربية) ، وسيدة وجدت نفسها بالمثل فى " مكان جميل " و " على البعد " .. استطعت أن أرى مدينة . وكانت هناك مباني .. مباني متباعدة . وكانت منيرة ومتألقة . والناس هناك سعداء . وماء يتلألأ ، ونافورات ... وأفضل ما أصفها به أنها مدينة نورانية " . (ص ٢١ من الترجمة العربية) .

والحقيقة التى تكشف عنها بعض الكتب الأخرى الحديثة هى أن هذه التجربة عادية جداً . ويعتقد المؤلفان البروتستانت اللذان ذكرتهما من قبل أن هذه التجربة (على الأقل صورتها يتضح فيها أنها تطابق ما ورد فى الكتاب المقدس) هى تجربة مسيحية ، تتميز عن تجارب ما بعد الموت الأخري ، التى

يعتقدون أنها خدع شيطانية . وبينما " غير المؤمنين يرون أن مثل هذه التجارب تقوم على اعتقاد باطل وأنها من نوع ينسب فى الكتاب المقدس إلى الشيطان بوجه خاص ، يرى المؤمنون أنها تجارب تمثل أحداثاً صحيحة تقوم على أساس عقائدى من الكتاب المقدس (١) . هل هذا حقيقى ، أم أن تجارب المؤمنين وغير المؤمنين متقاربة أكثر مما يتصوره هذان المؤلفان ؟

أما التجربة التى يوردها هذان المؤلفان على أنها " مسيحية " أصيلة، فهى تجربة بيتى مالز Betty Malz التى نشرت كتاباً تصف فيه تجربة بقائها خارج الجسد لمدة ٢٨ دقيقة ، بينما كانت ميتة " إكلينيكياً " ، لقد وجدت نفسها بعد الموت حالاً " تصعد تلاً أخضر جميلاً ... كنت أسير على الحشائش ، أنه أعظم ما رأيت فى حياتي من خضرة حية ناضرة " . وكان يصحبها فى سيرها شخص آخر " طويل ، فى هيئة رجل يرتدى عباءة . ولعله كان ملاكاً .... وبينما كنا نسير معاً ، لم أر شمساً ، بل أن النور كان يملأ كل مكان ، وهناك إلى اليسار كانت توجد أزهار متفتحة متعددة الألوان، ثم أشجار وشجيرات .... ووصلنا إلى بناء فضى عظيم ، كان يشبه قصراً فيما عدا أنه لم تكن له أبراج . وبينما نحن نتجه نحوه ، سمعت أصواتاً ، كانت منغمة ، ومتوافقة ، وممتزجة فى شكل خورس وسمعت كلمة " يسوع " ... وخطا الملاك إلى الأمام ، ووضع راحة يده على بوابة لم ألحظها من قبل . كان ارتفاعها حوالى اثنى عشر قدماً ، وكانت البوابة عبارة عن لوح صلب من اللؤلؤ " . وعندما انفتحت البوابة " رأيت فى الداخل ما بدا لى أنه شارع ذهبى اللون مغطى بالزجاج أو الماء . أما الضوء الأصفر الذى ظهر ، فقد كان متألقاً ، بصورة لايمكن وصفها . لم أر أحداً ، ولكننى كنت أشعر

(1) Levitt and Weldon, " Is There Life After Death ? " P.116.

بوجود شخص . فجأة عرفت أن النور كان هو يسوع " .

ولما دعيت لتدخل من البوابة ، تذكرت أباها الذى كان يصلى من أجلها ، فانغلقت البوابة ، وعادت مرة أخرى إلى سفح التل ، ولاحظت أن الشمس كانت تشرق على الحائط المصنوع من الجواهر - الذى تغير حالاً مع ضوء الشمس إلى مدينة تيرهوت حيث عادت إلى جسدها فى المستشفى فيما يعتبره الناس معجزة [١] .

فهل تختلف هذه التجربة حقاً من حيث النوع عن معظم تلك التجارب التى أوردها الدكتور مودى ؟ وهل هذه هى فى الحقيقة رؤيا مسيحية للسماء ؟ (مسز مالز سيدة بروتستانتية وقد ثبتت هذه التجربة من عقيدتها) . أما القارئ المسيحى الأرثوذكسى فإنه لايقتنع بها طبعاً مثل المؤلفين البروتستانت اللذين ذكرناهما عاليه . وبعيداً عن أى معرفة قد تكون لدينا عن كيفية اقتراب الروح إلى السماء بعد الموت ، وما يجرى حتي وصولها إلى هناك (سنناقش ذلك فيما بعد) - فإن هذه التجربة يبدو لنا أنها لاتختلف كثيراً عن التجارب العلمانية لما بعد الموت ، التى يكتب عنها فى هذه الأيام . وبصرف النظر عن اللون " المسيحى " الذى لونت به هذه التجربة على يد المؤلفة البروتستانتية (الملاك ، والترانيم ، وحضور السيد المسيح) فإنه يوجد عناصر عديدة تتشابه مع التجارب " العلمانية " : شعور الراحة والسلام (الذى تصفه بأنه يتعارض تماماً مع تلك الشهور التى قضتها فى مرضها المؤلم) ، و " الكائن النورانى " (الذى يقرر آخرون أنه " يسوع

---

(1) Betty Malz, " My Glimpse of Eternity " , Chosen Books, Waco , Texas, PP.84 - 89

المسيح ") ، والاقتراب إلى نوع من المجالات المختفية الذى يقف خلف نوع من " الحدود" . ولعله من الغرابة أن تشرق هذه الشمس العالمية فوق الحوائط المصنوعة من الجواهر . ولو كانت هذه هى السماء حقيقة ... فكيف نفسر هذه التجربة ؟

وهناك فى بعض الكتب الحديثة عدد من التجارب المشابهة ، وهذا اختبار موجز يعطينا فكرة أفضل عما يجرى .

لقد تم أخيراً تأليف كتاب عن تجارب ما بعد الموت التى جرت لبعض المسيحيين المحتضرين (معظمهم من البروتستانت) لمؤلفه جون مايرز – وعنوانه : أصوات من حافة الأبدية . [1] وقد وردت فى إحدى التجارب التي تضمنها هذا الكتاب أن أمراة " ماتت " ، وتحررت من جسدها وأتت إلى مكان عظيم النور نظرت اليه من خلال " نافذة سماوية " . " أما ما رأيته هناك فقد جعل كافة المسرات الأرضية شاحبة بلا معنى . ورغبت أن أنضم إلى الحشد السعيد من الأطفال الذين كانوا يغنون ويلهون فى بستان التفاح... كانت هناك زهور عطرة ، وثمار حمراء ناضجة على الأشجار . وبينما جلست هناك أشرب فى هذا المجال ، أصبحت بالتدريج واعية لوجود ، وهو وجود الفرح ، والتوافق ، والحنان . واشتاق قلبى لأن يصبح جزءاً من هذا المجال " . وبعد أن عادت إلى جسدها بعد أن ماتت لمدة خمسة عشر دقيقة " وخلال بقية ذلك اليوم واليوم التالى له ، صار العالم الآخر أكثر واقعية بالنسبة لى عن ذلك العالم الذى عدت اليه " . (ص ص ٢٢٨ – ٢٣١ من مجلة Guide Posts Magazine سنة ١٩٦٣) . وأتاحت هذه

(1) John Myers, " Voices from the Edge of Eternity " , spire Books, old Tappan, N.J.,1973

التجربة فرحاً " روحياً " واضحاً بالقياس إلى تجربة مسز مالز ، وأعطت كذلك بعداً دينياً لحياة الإنسان بعد التجربة ،أما صورة السماء التى ظهرت ، فقد كانت مختلفة تماماً .

وهناك تجربة أكثر وضوحاً لما بعد الموت ، حدثت لطبيب من فرجينيا هو الدكتور جورج س . ريتشى ، ورد ملخصها فى مجلة Guide Posts Magazine سنة ١٩٦٣ ، كما طبعت نسخة تفصيلية لها على شكل كتاب نشر فى سلسلة Chosen Books بعنوان : العودة من الغد Return from To-morrow . ونجد فى هذه الحكاية أنه بعد مغامرة طويلة خلال الانفصال عن جسده (الذى أعلن موته) ، عاد الشاب جورج ريتشى إلى الحجرة الصغيرة التى كان يرقد جسده فيها ، وعرف حينذاك فقط أنه كان " ميتاً "، وهناك ملأ الحجرة نور عظيم أحس بأنه هو السيد المسيح . " وجود مريح جداً، ومفرح جداً ، وباعث للرضا ، لدرجة أننى أردت أن أفقد ذاتى فى روعته ، إلى الأبد " . وبعد أن رأى موجز حياته السابقة ، رداً على السؤال القائل : " ماذا فعلت بحياتك على الأرض ؟ رأى ثلاث رؤى . فى الأولى رأى اثنين يبدو أنهما من " عالم شديد الاختلاف يشغل الفراغ نفسه " مثل هذه الارض ، ولكن مع استمرار صور أرضية عديدة (شوارع ، وريف ، وجامعات ، ومكتبات ، ومعامل) . " لقد رأيت لمحة من العالم النهائى ، والآن يبدو أننا لسنا على الأرض ، بل بعيدين عنها ، دون أية علاقة بها . ولايزال هناك على بعد كبير ، المدينة التى رأيتها - ولكنها مدينة ، مبنية من النور ، إذا كان من الممكن إدراك هذا الأمر ... وظهر أن جدرانها ، ومنازلها وشوارعها ، يشع منها النور ، بينما تتحرك بينها كائنات شديدة اللمعان مثل السيد المسيح الذى وقف بجانبى . ولم تستغرق هذه الرؤيا سوى لحظة ، لأنه فى اللحظة التالية أغلقت نوافذ الحجرة الصغيرة التى كنت فيها

وخفت النور المبهر ، واستسلمت لنوم عادي " . ولم يكن الدكتور ريتشى قد قرأ شيئاً عن الحياة بعد الموت ، ولكنه بعد التجربة ، ساهم بنشاط فى خدمة الكنيسة البروتستانتية [١] .

وقد حدثت هذه التجربة الواضحة سنة ١٩٤٣ ، وبفحص هذه التجربة، نجد أن هذه النوعية من التجارب لاتنتمى مطلقاً إلى تجارب " إعادة الحياة " التى جرت خلال السنوات القليلة الماضية . ويسجل القس البروتستانتي نورمان فنسنت بيل Norman Vincent بعض التجارب المشابهة ثم يعلق قائلاً : " هل هى هلوسة ، أم حلم ، أم رؤيا - لا أعتقد ذلك . لقد قضيت سنوات عديدة أتحدث إلى الأشخاص الذين وصلوا إلى حافة شئ ما ونظروا عبر هذه الحافة ، ثم تحدثوا بالاجماع عن الجمال ، والنور ، والسلام ، بما لايسمح للشك بأن يتطرق إلى فكرى . [٢] وقد جمع كتاب Voices from the Edge of Eternity ، نماذج عديدة من ثلاث مجموعات من المؤلفات التى وضعت فى القرن التاسع عشر عن رؤى سرير الموت ، وتجارب حافة الموت . وبالرغم من أنه ليس بين هذه النماذج ما هو خاص بالتفاصيل مثل بعض الأقوال التى أوردناها مؤخراً ، إلا أنها تقدم برهاناً عميقاً على أن رؤية تجليات العالم الآخر ومناظره ، تمثل حدثاً عادياً بالنسبة للمحتضرين . وفى هذه التجارب يعاين هؤلاء الذين يشعرون فى أنفسهم بأنهم مسيحيون ومستعدون للموت ، ومشاعر السلام ، والفرح ، والنور ، والملائكة ، والسماء بينما يرى غير المؤمنين الشياطين وجهنم (حسب الروايات الأصلية والتى تعود إلى القرن التاسع عشر !) أما وقد عرفنا حقيقة هذه الرؤى ،

---

(1) Voices from the Egde of Eternity , PP. 56 - 61
(2) Norman Vincent Peale , " The Power of Positive Thinking " . Prentice - Hall, Inc ., New york, 1953 , P.256.

فعلينا الآن أن نسأل السؤال : - ما طبيعتها ؟ هل رؤية السماء هى فى الحقيقة شائعة جداً بين هؤلاء الذين يموتون كمسيحيين ، حسب أفضل الأساليب التى يعرفونها ، وهم لايزالون خارج كنيسة المسيح ، الكنيسة الأرثوذكسية ؟

وعلينا ونحن نحكم على طبيعة وقيمة مثل هذه التجارب أن نبدأ بتكرار مدخلنا إلى السؤال عن " الالتقاء بالآخرين " دعنا نفحص تجارب المحتضرين غير المسيحيين لكى نرى ما إذا كانت مختلفة بطريقة ملحوظة عن تلك الخاصة بالذين يعترفون بأنهم مسيحيون . فإذا كان غير المسيحيين أيضاً يرون السماء عند الاحتضار أو بعد الموت ، فسيكون علينا أن نفهم أن هذه التجربة ليست سوى شئ طبيعى قد يحدث لجميع الناس ،ولاتخص المسيحيين بالذات . وقد أعطانا كتاب الدكتور أوزيس والدكتور هارالدسون الدليل على هذه النقطة .

أورد هذان الباحثان حوالى ٧٥ حالة من حالات " رؤى العالم الآخر " بين المرضى المحتضرين . ويصف بعض الناس سهولاً وحدائق ذات جمال لا يصدق ، بينما يرى البعض الآخر بوابات تنفتح على ريف جميل أو مدينة جميلة ، ويستمع الكثيرون إلى موسيقى من عالم آخر . وغالبا ما تختلط تلك الصور ببعضها ، مثلما حدث للسيدة الأمريكية التى ذهبت الى حديقة جميلة فى سيارة تاكسى ، أو السيدة الهندية التى ركبت بقرة فى طريقها إلى " سمائها " . [1] أو المواطن الذى من مدينة نيويورك الذي دخل حقلاً غزير الاخضرار ، وقد امتلأت روحه بالحب والسعادة ، واستطاع أن يرى

---

(1) At the Hour of Death, P.163.

مبانى مانهاتن وحديقة للترويح - من على البعد [1] .

ويرى الهندوس " السماء " كما يراها المسيحيون فى دراسة أوزيس وهارالدسون ، وبينما يرى الأخيرون " المسيح " و " الملائكة " فإن الأولين يرون غالباً المعابد والآلهة الهندوسية (ص ١٧٧) . والأكثر من ذلك إيحاء هو أن عمق اندماج أو انخراط المرضى فى التدين لايبدو أن له أى تأثير فى مقدرتهم على رؤية تجليات العالم الآخر " إن المرضى المندمجين بعمق ، رأوا حدائق، وبوابات ، وسماء، لا تقل عما رآه هؤلاء الأقل اندماجاً".(ص١٧٣). حقاً ، لقد انتقل أحد أعضاء الحزب الشيوعي الهندى ، وهو من الملحدين أو الماديين - عند احتضاره إلى " مكان جميل لاينتمى إلى هذه الأرض.... وسمع موسيقى وأيضاً بعض الغناء فى الخلفية . وعندما عرف أنه حى ، شعر بالأسف لأنه ترك هذا المكان الجميل . " (ص ١٧٩) . وقد حاول أحد الأشخاص الانتحار ، قال عند احتضاره : " أنا فى السماء . يوجد حولى العديد من المنازل ، والعديد من الشوارع التى بها أشجار ضخمة تحمل ثماراً حلوة ، وطيوراً صغيرة تغنى فى الأشجار " . (ص ١٧٨) . ويشعر معظم هؤلاء الذين مروا بمثل هذه التجارب ، بالفرح العظيم ، والسلام ، والصفاء ، وقبول الموت ، وقليلون هم الذين رغبوا فى العودة إلى هذه الحياة الدنيا (ص١٨٢) .

وعلى ذلك ، فمن الواضح أننا يجب أن نحترس جيداً فى تفسير "رؤى السماء " التى رآها الناس المحتضرون والموتي . وكما ورد عاليه عندما كنا نناقش فكرة " الالتقاء بالآخرين " التى وردت فى الفصل الثانى ، فإن علينا الآن أن نميز بوضوح بين الرؤى الأصيلة ، والرؤى التى تمنح بركات العالم

---

(١) David Wheeler , " Journey to the Other Side " , PP. 100 - 105

الآخر، وبين التجربة الطبيعية الصرفة ، التى رغم أنها قد تكون حدثت خارج الحدود العادية للخبرة الإنسانية ، إلا أنها أقل ما تكون روحانية ، ولا تذكر لنا شيئاً عن الحقيقة الواقعية لكل من السماء أو جهنم حسب التعليم المسيحى الأصيل .

ويبرز أمامنا الآن أكثر الأجزاء أهمية فى تحقيقنا لظاهرة تجارب ما بعد الموت والاحتضار : قياسها والحكم عليها حسب معايير التعليم المسيحى الأصيل وتجربة الحياة بعد الموت ، وتحديد معانيها ، وأهميتها بالنسبة لعصرنا الحالى . من الممكن لنا هنا أن نقدم تقييماً مبدئياً لتجربة " السماء " التى أصبح الحديث عنها شائعاً فى هذه الأيام : إن غالبية إن لم تكن كل هذه التجارب ، فيها القليل مما هو معتاد فى الرؤيا المسيحية للسماء . لذلك فإن هذه الرؤى ليست روحية ، ولكنها عالمية . إنها سريعة جداً ، وسهلة التحصيل ، وعادية ، وأرضية التصوير بحيث لاتوجد مقارنه جدية بينها وبين الرؤى المسيحية للسماء فى الماضى . (والتى سنقدم وصفاً لبعضها فيمايلى) . وحتى أكثر الأشياء روحانية بالنسبة للبعض منها - وهو الإحساس بوجود " السيد المسيح " - لايقنع الإنسان إلا بالكثير من عدم النضج الروحى لدى هؤلاء الذين يمرون بها أكثر من أى شئ آخر . وكذلك فإنها لاتتيح الرهبة العميقة ، والخوف من الله ، والتوبة التى أثارتها التجارب الأصيلة الخاصة بحضور الله - فى القديسين المسيحيين (التى من بينها تجربة القديس بولس فى طريقه إلى دمشق - كنموذج واضح لها - أعمال الرسل ٩ : ٣ - ٩) . إن التجارب الحالية تؤدى إلى شئ أكثر شبهاً بالراحة والسلام فى حركات التقمص الروحى والمذهب الخمسينى المعاصرة .

وعلى ذلك فلا يمكن الشك فى أن هذه التجارب رائعة ، وأن الكثير

منهاَ لايمكن أن يعزى إلى مجرد هلوسة ، كما يبدو أنها تحدث خارج حدود الحياة الأرضية حسب مفهومها العام ، فى نطاق يقع ما بين الحياة والموت ، كما هى بالفعل .

ما هو هذا النطاق ؟ هذا هو السؤال الذى سنعود إليه الآن . ولكي نجيب عنه ، علينا أن ننظر أولاً فى كافة الشهادات المسيحية الأصيلة ، ثم - نعمل ما عمله الدكتور مودى وغيره من الذين يكتبون عن هذا الموضوع - ونعني بذلك العودة إلى كتابات دارسى الغيب ، وغيرهم ممن يقولون أنهم عاشوا فى هذا النطاق . وهذا المصدر الأخير ، إذا فهمناه حق المعرفة ، يستطيع أن يقدم لنا دليلاً مدهشاً على وضوح الحقيقة المسيحية .

الفصل الخامس

النطاق الهوائى للأرواح

لكى نفهم ماهية العالم الذى تدخل فيه الروح بعد الموت ، علينا أن ننظر إليها فى محيط الطبيعة الإنسانية برمته ، علينا أن نتعرف إلى طبيعة الإنسان قبل سقوطه ، والتغيرات التي طرأت عليها بعد السقوط ، وقدرات الإنسان على الدخول فى اتصال مع الكائنات الروحية .

ولعلنا نجد أ طر بحث أرثوذكسى لهذه الموضوعات فى نفس كتاب الأسقف إغناطيوس بريانشانينوف الذى ذكرناه سابقاً عند الحديث عن الرأى الأرثوذكسى الخاص بالملائكة (المجلد الثالث من مجموعة الأعمال الكاملة) . لقد خصص الأسقف إغناطيوس أحد فصول هذا الكتاب لمناقشة " الإدراك الحسى للأرواح " - أى الظهورات الملائكية والشيطانية للإنسان . وسنستشهد فيمايلى بهذا الفصل الذى يقدم لنا تعليم الآباء الأرثوذكس ، الذى تسلمناه فى رصانة ودقة عن أحد آباء الأرثوذكسيه العظام فى عصرنا الحديث .

الطبيعة الأصلية للإنسان

" قبل سقوط الانسان ، كان جسده غير قابل للموت ، وغير قابل للمرض ، ومجرداً من الخشونه الحالية والثقل ، وطاهراً من الإحساسات الخاطئة والمشاعر الجسدانية التى صارت الآن طبيعة فيه ، (العظة الرابعة للقديس مقاريوس الكبير) ، وكانت حواسه أكثر حدة بصورة لاتضاهى ، كما أن نشاطها كان حراً تماماً وأكثر اتساعاً بصورة لاتقارن . ومع تلبسه فى

الجسد ، وأعضاء الحس هذه ، كان الإنسان قادراً على الإدراك الحسى للأرواح ، التى كان ينتمى إلى نفس مرتبتها بالروح ، وكان قادراً على مشاركتها ، فى هذه الرؤى المقدسة ، والشركة مع الله التى هى شئ طبيعى بالنسبة للأرواح المقدسة . ولم يكن الجسد المقدس للإنسان ليعوقه عن ذلك ، ولم يكن يفصله عن عالم الأرواح .وكان الإنسان وهو متلبس بالجسد قادراً على السكنى فى الفردوس ، الذى لايسكن فيه اليوم إلا القديسون فقط ، وبأرواحهم فقط ، والذي إليه أيضا ستصعد أجساد القديسين بعد القيامة ، عندما تترك هذه الأجساد فى القبر الخشونة التى دخلت إليها بعد السقوط ، ثم تتحول إلى أجساد روحية ، مثل الأرواح حسب تعبير القديس مقاريوس الكبير (عظة ٦ فصل ١٣) . وستكتشف فيها تلك الخصائص التى كانت لها عندما خلقت فى البداية (*) .

ومرة أخرى سيعود الإنسان إلى رتبة الأرواح المقدسة ويكون فى شركة مفتوحة معها . وسنرى مثالاً للجسد الذى سيكون فى نفس الوقت جسداً وروحاً فى جسد سيدنا يسوع المسيح بعد قيامته .

سقوط الإنسان

ومع السقوط تغيرت روح الإنسان وجسده كلاهما ، وبالمعنى الدقيق فإن السقوط كان موتاً لهما أيضاً ، وأن مانراه ونسميه بالموت هو فى جوهره

(*) يوجد فارق من حيث الإدراك بين جسد الإنسان فى الفردوس قبل سقوطه ، وجسده فى السماء بعد القيامة أنظر موعظة ٤٥ الفصل ٥ للقديس سيمون اللاهوتى الجديد فى كتاب: The Orthodox World - رقم ٧٦ .

مجرد الفصل بين الروح والجسد اللذين كانا من قبل قد ماتا بالفعل الموت الأبدى حسب الحكم . وأن أمراض جسدنا ، وخضوعه للأثر المدمر للمواد المختلفة التى تنتمى إلى عالم المادة ، وخشونته - هذه كلها كانت نتيجة السقوط . وبسبب السقوط دخل جسدنا نفس رتبة أجساد الحيوانات العجماوات ، إنه يعيش حياة حيوانية ، إنها حياة طبيعته الساقطة ، إنه يمثل بالنسبة للروح سجناً وقبراً .

إن هذه التعبيرات التى استخدمناها تعبيرات قوية ، ومع ذلك فإنها لاتعبر تعبيراً دقيقاً كاملاً عن سقوط أبداننا من سمو حالتها الروحية إلى حالتها اللحمية . و يجب على الإنسان أن يطهر ذاته بالتوبة الكاملة ، ويجب عليه أن يشعر على الأقل ، ونوعاً ما ، بحرية الحالة الروحية وسموها ، وذلك حتى يستطيع فهم الحالة الشقية لأجسادنا ، وحالة موتها الذى نتج عن بعدها عن الله .

" وفى هذه الحالة من الموت ، وبسبب الخشونة القصوى والجفاف الشديد ، صارت حواسنا الجسدية غير مؤهلة للشركة مع الأرواح ، إنها لا ترى الأرواح ، ولاتسمعها ، ولاتحس بها . وعلى ذلك فإن الفأس الأثلم ، لايمكن أن يحقق الغرض منه . لذلك فإن الأرواح المقدسة تتجنب الشركة مع الناس الذين أمسوا غير مستحقين لهذه الشركة ، بينما أن الأرواح الساقطة التى جرتنا معها فى سقوطها ، تختلط بنا ، حتى أنها استطاعت أن تسيطر علينا وتأسرنا فى قبضتها ، وتعمل جاهدة حتى لاتكون هى أو سلاسلها المقيدة لنا - ملحوظة لنا - وإذا كشفت عن ذاتها فإنها تفعل ذلك حتى تقوي سيطرتها علينا .

إننا جميعاً الذين نرسف فى عبودية الخطيئة ينبغي أن نفهم أن

الشركة مع الملائكة القديسين غير طبيعية بالنسبة لنا وذلك بسبب بعدنا عنهم بفعل السقوط . ولنفس السبب فإن ما هو طبيعى بالنسبة لنا هو الشركة مع الأرواح الساقطة التى تنتمى إليها من حيث الرتبة الروحية ، فالأرواح التى تظهر بشكل محسوس للأفراد الذين هم فى حالة الخطيئة والسقوط ، هي شياطين ، وليست على الإطلاق ملائكة طاهرة . قال القديس إسحاق السريانى عن النفس الدنسة أنها : " لا تدخل النطاق الطاهر ، ولاشركة لها مع الأرواح المقدسة " (عظة ٧٤) وإنما تظهر الملائكة القديسين فقط للبشر الأطهار الذين استعادوا الشركة مع الله ومعها عن طريق حياة القداسة . (*)

الاتصال بالأرواح الساقطة

بالرغم من أن الشياطين عند ظهورها للإنسان تتخذ فى العادة شكل الملائكة النورانية لكى تسهل عملية الخداع ، وبالرغم من أنها فى بعض الأحيان تعمل جاهدة لإقناع الناس بأنها أرواح بشرية وليست شياطين (هذا الأسلوب من الخداع قد انتشر بين الشياطين فى هذه الأيام ، نظراً للوضع الخاص بالإنسان المعاصر الذى يصدق هذه النوعية من الخداع) ، بالرغم من أنها فى بعض الأحيان تتنبئ بالمستقبل ، وبالرغم من أنها أيضاً تكشف عن بعض الأسرار - إلا أنه يجب على الإنسان ألا يثق فيها بحال ما . إن الحقيقة تختلط بالزيف بالنسبة لهذه الشياطين ، وهى تستعمل الصدق أحيانا ، فقط لتحقيق خدع أكثر حبكة . قال القديس بولس : " لأن

(*) وعلى أية حال ، ففى حالات نادرة ولغرض إلهى ، تظهر الملائكة الأطهار لبعض الخطاة وحتي للحيوانات على حد قول الأسقف إغناطيوس .

الشيطان نفسه يغير شكله إلى شبه ملاك نور فليس عظيماً إن كان خدامه أيضاً يغيرون شكلهم كخدام للبر " . (كورنثوس الثانية ١١ :١٤ - ١٥).
(الجزء الثالث من مجموعة أعمال الأسقف إغناطيوس - ص ص ٧ -٩) .

وكقاعدة عامة تصلح لجميع الناس ، يجب عدم تصديق الأرواح عندما تظهر فى شكل محسوس ، وعدم التكلم معها ، مع اعتبار أن ظهورها هو خدعة كبيرة وخطيرة . وفى لحظة الخداع يجب أن يوجه الإنسان عقله وقلبه نحو الله مع صلاة يطلب فيها الرحمة والخلاص من الوقوع فى الإغراء . أما الرغبة فى رؤية الأرواح ، وحب الاستطلاع لاكتشاف شئ عنها ومنها ، فليست سوى علامة على الغباء الشديد والجهل التام بتقاليد الكنيسة الأرثوذكسية المتعلقة بالحياة الأخلاقية والعمل . إن المعرفة بالأرواح تكتسب بصورة مختلفة تماماً عما هو مفروض لدى غير المجربين وذوى التجارب السطحية . أما الشركة المفتوحة مع الأرواح بالنسبة لغير المجربين فهى تمثل سوء حظ عظيم ، و تشكل مصدراً لسوء الطالع العظيم .

يقول كاتب سفر التكوين الملهم بالوحى المقدس أنه بعد سقوط الإنسان الأول ، فإن الله وهو يصدر الحكم على آدم وامرأته وقبل نفيهما من الفردوس، صنع لهما أقمصة من جلد وألبسهما . (تكوين ٣ : ٢٠) أما أقمصة الجلد حسب تفسير الآباء الأطهار (يوحنا الدمشقى فى كتابه : الشرح الدقيق للعقيدة الأرثوذكسية Exact Exposition of the Orthodox Faith - الكتاب الثالث - الفصل الأول) . فإنها تعنى جسدنا الخشن ، الذى تبدل بعد السقوط : لقد فقد رقته وطبيعته الروحية واتخذ خشونته الحالية . وبالرغم من أن السبب الأصيل لهذا التغيير هو السقوط ، إلا أن التغيير قد حدث بفعل الخالق العظيم ، حسب رحمته التى لا توصف نحونا ،

ولصالحنا . ومن بين النتائج الأخرى ، المفيدة لنا ، والتى حصلت لنا بسبب الحالة التى صارت إليها أجسادنا الآن ، علينا أن نبين أننا : من خلال خشونة أجسامنا أصبحنا غير قادرين على الإدراك الحسى للأرواح التى سقطنا فى نطاقها ... أن حكمة الله وصلاحه قد وضعا حاجزاً بين الناس ، الذين طردوا إلى الأرض من الفردوس وبين الأرواح التى أسقطت من السماء إلى الأرض ، وهذا الحاجز هو مادة الجسد الإنسانى الكثيفة . وعلى ذلك فإن الحكام الأرضيين يفصلون الناس فاعلي الشر عن المجتمع الإنسانى خلف أسوار السجن ، حتي لايضروا المجتمع حسب رغبتهم ويفسدوا الآخرين (يوحنا كاسيان - الكتاب الثامن - فصل ١٢) . إن الأرواح الشريرة تفسد الناس ، بأن تقدم لهم الأفكار والمشاعر الخاطئة ، ولكن القليل من الناس هم الذين يتمسكون بالإغراء المحسوس من الأرواح " . (الأسقف إغناطيوس ، ص ص ١١ -١٢) .

" إن الروح التى تلبس الجسد المغلق عليها والمنفصلة به عن عالم الأرواح ، تدرب نفسها تدريجياً بدراسة القانون الإلهى أو نفس الشئ ، بدراسة المسيحية ، وأكتساب القدرة على التمييز بين الخير والشر (العبرانيين ٥ : ١٤) . ثم يوهب لها الإدراك الروحى للأرواح ، وإذا كان ذلك متوافقاً مع إرادة الله الذى يرشدها ، فإنها تدركها الآن حسياً حيث أن الوهم والخداع أقل خطورة بالنسبة لها الآن ، بينما التجربة والمعرفة فى صالحها .

" عند انفصال الروح عن الجسد بالموت الظاهر ، ندخل مرة أخرى فى رتبة ومجمع الأرواح . ويتضح من ذلك أنه من الضرورى للدخول بنجاح إلى عالم الأرواح ، أن يدرب الإنسان نفسه فى الوقت المناسب على إطاعة القانون

الإلهى وأنه من أجل هذا التعليم بالتحديد ، أعطينا وقتاً ، قرره الله لكل فرد لأجل رحلة مقدسة على الأرض ، وهذه الرحلة تسمى : الحياة الأرضية .

انفتاح الحواس

" يصير الناس قادرين على رؤية الأرواح بواسطة تعديل معين فى الحواس ، يتم بطريقة غير ملحوظة وغير قابلة للتفسير بالنسبة للإنسان فيلاحظ الإنسان فى ذاته أنه بدأ فجأة يرى ما لم يكن يره قبلاً ، ومالا يراه الآخرون ، وأن يسمع مالم يسمعه من قبل . فهؤلاء الذين يكتشفون فى أنفسهم مثل هذا التغيير فى الحواس يجدون أنه أمر بسيط وطبيعى ، حتى مع العلم بأنه غير قابل للتفسير بالنسبة للشخص ذاته وللآخرين ، وأما بالنسبة لهؤلاء الذين لم يجربوه ، فهو غريب وغير مفهوم . وبنفس الطريقة، نقول أنه معروف للجميع أن البشر قادرون على الانغماس فى النوم ، ولكن أى نوع من نوعيات ظاهرة النوم ، وبأى طريقة ، غير ملحوظة من الشخص ، نعبر من حالة اليقظة إلى حالة النوم ونسيان الذات - إنه سر بالنسبة لنا .

" إن تغيير الحواس الذى يدخل به الإنسان إلى الشركة المحسوسة مع كائنات العالم غير المنظور يسمى فى لغة الكتاب المقدس : انفتاح الحواس " يقول الكتاب المقدس : " ثم كشف الرب عن عينى بلعام فأبصر ملاك الرب واقفاً فى الطريق وسيفه مسلول فى يده . " (سفر العدد ٢٢ : ٣١) . وعندما كان أليشع النبى محاطاً بأعدائه فإنه لكى يهدئ من روع خادمه الخائف : " صلى أليشع وقال يارب افتح عينيه فيبصر ، ففتح الرب عينى الغلام فأبصر وإذا الجبل مملوء خيلاً ومركبات نار حول أليشع . " (الملوك الثانى ٦ : ١٧ - ١٨) ، (أنظر أيضاً : لوقا ٢٤ : ١٦ - ٣١) .

يتضح لنا من نصوص الكتاب المقدس أن أعضاء الجسد تقوم بعمل الأبواب والبوابات بالنسبة للغرفة الداخلية التى توجد الروح بداخلها ، وأن هذه البوابات تفتح وتغلق حسب أمر الله الأعظم حكمة والأوسع رحمة ، وأن هذه الأبواب تظل دائمة الانغلاق فى الناس الذين سقطوا ، لئلا يهاجمنا أعداؤنا الألداء ويؤدوا بنا إلى الهلاك . وهذا المقياس أشد ضرورة حيث أننا بعد السقوط نجد أنفسنا فى نطاق الأرواح الساقطة " وقد أحاطت بنا ، واستعبدتنا ، ومع عدم امكانية مهاجمتها لنا ، فإنها تجعلنا نعرفها من الخارج، بما تسببه لنا من الوقوع فى مختلف الأفكار والتصورات الشريرة ، وبها تغوى الأرواح الساذجة للدخول فى شركة معها . إنه غير مسموح للإنسان بأن يخرج عن الإشراف الإلهى وبوسائلة الخاصة (بسماح من الله ولكن ليس بإرادته) يفتح حواسه ويدخل فى شركة منظورة مع الأرواح . ولكن هذا هو مايحدث . من الواضح أنه بوسائل الإنسان الخاصة يستطيع أن يدخل فى شركة فقط مع الأرواح الساقطة ، على أنه ليس من خصائص الملائكة الأطهار أن تشترك فى شئ لايتفق مع إرادة الله . شئ لا يسر به الله...

" ما الذى يجذب الناس للدخول فى شركة مفتوحة مع الأرواح ؟ إن هؤلاء الذين لهم عقول ضحلة ويجهلون فاعلية المسيحية ينجذبون بفعل حب الاستطلاع والجهل وعدم الإيمان ، دون أن يفهموا أنهم بالدخول فى مثل هذه الشركة يمكن أن يسببوا لأنفسهم ضرراً عظيماً . " (ص ١٣ - ١٤) .

" إن فكرة وجود شئ مهم فى الإدراك الحسى للأرواح هى فكرة خاطئة، لأن الإدراك الحسى بدون الإدراك الروحي لايقدم فهماً صحيحاً للأرواح ، ولكنه يقدم فهماً سطحياً . ومن السهل أن يقدم أكثر المفاهيم

الخاطئة ، وهذا فى الحقيقة هو ما يقدم غالباً لغير ذوى الخبرة ، وهؤلاء المحبين للظهور والمعتدين بذواتهم . أما الإدراك الروحى للأرواح فلا يصل إليه إلا المسيحيون الحقيقيون ، بينما الإدراك الحسى للأرواح من نصيب الأفراد الذين يعيشون حياة الضلال ... وقليلون هم الذين يستطيعون ذلك عن طريق تكوينهم الطبيعى (*) ، وتظهر الأرواح للقليلين بسبب بعض الظروف الخاصة فى الحياة . وفى الحالتين الأخيرتين لا يصح للإنسان أن يلوم، ولكن عليه أن يبذل كل جهده للخروج من هذه الحالة الخطيرة . وفى أيامنا هذه يسمح الكثيرون لأنفسهم بالدخول فى شركة مع الأرواح الساقطة عن طريق السحر وتحضير الأرواح الذى به تظهر الأرواح الساقطة عادة فى شكل ملائكة نورانية وتخدع الناس وتضللهم بقصص مثيره ، تخلط فيها الحقيقة بالباطل مما يسبب الأضطراب للروح بل وللعقل كذلك . " (ص١٩).

" أما هؤلاء الذين يرون الأرواح حتى ولو كانت ملائكة طاهرة ، لاينبغى أن يغتروا بأنفسهم فإن هذا الإدراك الحسى ، ليس دليلاً فى حد ذاته على موهبة ما ، عند أصحابه ، لأنه ليس الأفراد المضللين فقط هم القادرون على هذا الإدراك الحسى بل أيضاً الحيوانات غير العاقلة (أتان بلعام : سفر العدد٢٢ : ٢٣) " . (ص٢١) .

خطورة الإتصال بالأرواح

" إن الإدراك الحسى للأرواح بحاسة النظر يؤدى دائما إلى حدوث الأذى.وأحياناً يكون هذا الأذى قليلاً بينما هو فى أحيان أخرى يكون

(*) المقصود بذلك موهبة الوساطة الروحية وهي موهبة من المواهب التى يمكن أن تورث.

عظيماً، وذلك بالنسبة لهؤلاء الذين ليس لديهم الإدراك الروحى . لأنه هنا على الأرض تختلط صور الحقيقة مع صور الباطل (القديس اسحاق السريانى ، الموعظة الثانية) مثلما يحدث فى الأرض التى يختلط فيها الخير بالشر ، أى مثلما يحدث فى أرض المنفى حيث تعيش الملائكة الساقطة مع البشر الساقطين " ، (ص ٢٣) .

والشخص الذى يرى الأرواح حسياً ، يمكن أن ينخدع بسهولة ، مما يسبب له الأذى والهلاك ، فإذا أظهر الثقة أو التصديق لهذه الأرواح سقط فى هوة الخديعة ، وسينجذب ، ويختم عليه بخاتم الخداع ، الذى لايفهمه غير المجربين ، أنه الأذى المريع لروحه ، وبعد ذلك يفقد إمكانية التصحيح والخلاص . ولقد حدث هذا لكثيرين وكثيرين جداً ، ليس فقط للوثنيين ، الذين كان كهنتهم فى شركة مفتوحة مع الشياطين ، وليس فقط مع الكثيرين من المسيحيين الذين لايعرفون أسرار المسيحية ، ثم دخلوا فى شركة مع الأرواح لسبب أو لآخر ، بل أنه حدث أيضاً مع الكثيرين من المجاهدين والرهبان الذين أدركوا الأرواح حسياً دون اكتساب الإدراك الروحى لهم .

" إن الدخول الصحيح والشرعى فى عالم الأرواح يحدث فقط بفهم وممارسة الجهاد المسيحى .أما كافة الوسائل الأخري فهى غير شرعية ويجب رفضها بصفتها غير مجدية ومدمرة . إن الله ذاته هو الذى يقود المجاهد الحقيقى فى المسيح إلى الإدراك الصادق والحق . وعندما يكون الله هو المرشد ، فإن خيالات الحقيقة التى يلبسها الباطل ، تتميز عن الحقيقة ذاتها ، ثم يمنح المجاهد قبل كل شئ ، الإدراك الروحى للأرواح ، ثم تنكشف له خصائص هذه الأرواح بالتفصيل والتحديد الدقيق . بعد ذلك فقط يمنح النساك المتعمقون الإدراك الحسى للأرواح ، والذى به تكتمل معرفة الأرواح

التى توصلوا اليها عن طريق الإدراك الروحى . " (ص ٢٤) .

نصيحة عملية

ينقل الأسقف إغناطيوس من أقوال القديس الأنبا أنطونيوس فى سيرته التى كتبها القديس أثناسيوس الرسولى (سبق أن ذكرناها كمصدر رئيسى لما نعرفه عن نشاط الشياطين) ، نصيحة عملية للمجاهدين المسيحيين عن كيفية السلوك بالنسبة للإدراك الحسى للأرواح ، إذا حدث وظهرت لأحد المسيحيين . وهذه النصيحة ذات قيمة عظيمة لكافة من يرغبون فى أن يعيشوا حياة روحية مسيحية فى أيامنا هذه عندما (لأسباب سنحاول أن نوضحها فيمايلى)يصبح الإدراك الحسى للأرواح أكثر شيوعاً مما هو عليه الآن . يعلمنا القديس الأنبا أنطونيوس قائلاً :

" يجب أن تعرفوا مايلى لحماية أنفسكم : عندما يظهر لكم شبح فلا يستولى عليكم الخوف ، بل مهما كان من أى نوع أسألوه أولا بثبات : من أنت ، ومن أين أتيت ؟ فإن كان تجلياً للقديسين طمأنوكم وبدلوا خوفكم إلى فرح . أما إن كانت الرؤيا شيطانية ، وواجهتموها بثبات فى الروح ، ستهتز فى الحال ، لأن السؤال بينة على روح جريئة ، وبسؤال كهذا عرف يشوع بن نون الحقيقة (يشوع ٥ : ١٣) كما أن العدو لم يخف نفسه عن دانيال (١٠:٢٠) ، (الأسقف إغناطيوس ص ص ٤٣ - ٤٤ - حياة القديس أنطونيوس) [١] .

---

(١) رأينا أن نسترشد فى ترجمة هذه الفقرة بالترجمة التى وردت بها فى النص العربى لكتاب القديس أثناسيوس عن حياة الأنبا أنطونيوس وهى الفقرة رقم ٤٢ - ص ٥٠ (المترجم)

وبعد أن ذكر الأسقف إغناطيوس كيف أن القديس سمعان العمودى خدع مرة حينما ظهر له شيطان فى شكل ملاك يركب مركبة من نار (حياة القديسين - أول سبتمبر) [1] أخذ يحذر المسيحيين الأرثوذكس المعاصرين قائلاً : " إذا كان القديسون قد واجهوا خطر الغواية من الأرواح الشريرة ، فلابد أن يكون هذا الخطر أكثر إرهاباً بالنسبة لنا . وإذا كان القديسون لم يميزوا الشياطين التى ظهرت لهم فى شكل القديسين أو المسيح نفسه ، فكيف نستطيع نحن أن نظن فى أنفسنا القدرة على معرفتهم دون أن نخطئ فى ذلك ؟ إن الوسيلة الوحيدة للخلاص من هذه الأرواح هى أن نرفض رؤيتهم والشركة معهم ، مقرين أننا غير مؤهلين لمثل هذا الإدراك وهذه الشركة .

إن المرشدين الأطهار الذين يقودون الجهاد المسيحى .. ينصحون المجاهدين الأتقياء ألا يثقوا فى أى نوع من الصور أو الرؤى إذا ظهرت لهم فجأة ، وألا يدخلوا فى الحديث معها . وينصحونهم بأنه يجب على الإنسان عند معاينة مثل هذه الظهورات أن يحصن نفسه بعلامة الصليب ، وأن يغلق عينيه ، وعليه أن يفهم تماماً عدم استحقاقه أو استعداده لرؤية الأرواح الطاهرة ، وعلينا أن نتوسل إلى الله أن يحمينا من كل الفخاخ والخدع المنصوبة للإنسان بفعل الأرواح الخبيثة . (ص ص ٤٥ - ٤٦) .

ثم يذكر الأسقف إغناطيوس عن القديس غريغوريوس السينائى قوله: " لا تقبل مطلقاً ، أى شئ تراه حسياً أو فى العقل ، فى داخلك أو خارجك ، سواء كان صورة للمسيح أو لملاك أو بعض القديسين ، أو إذا

---

(١) الروس الأرثوذكس لايستخدمون التقويم القبطى ولذلك فإن سير القديسين مرتبة لديهم حسب التقويم الميلادى . (المترجم) .

تخيلت نوراً أو رسم نور فى الخيال العقلى ، لأن هذا بطبيعته ينتسب إلى العقل الذى من خصائصه الانغماس فى الخيال ، حيث يشكل لنفسه بسهولة الصور التي يريدها ، وهذا الأمر طبيعي بالنسبة لهؤلاء الذين لاينتبهون لأنفسهم جيداً ، وبذلك يتسببون فى إيذاء أنفسهم (ص ص ٤٧ - ٤٩) .

المحصلة النهائية

وفى النهاية يعلمنا الأسقف إغناطيوس قائلاً : إن المدخل الوحيد الصحيح للدخول فى عالم الأرواح هو معرفة وممارسة الجهاد المسيحى . والمدخل الوحيد الصحيح إلى الإدراك الحسى للأرواح هو النمو والكمال المسيحى " . (ص ٥٣) .

وعندما يحين الوقت الذى عينه الإله الواحد والذى لايعرفه سواه ، فاننا نحن أنفسنا سندخل حتماً عالم الأرواح وليس هذا الوقت ببعيد عن كل منا ! وعسى أن يمنحنا الإله الكلى النعمة ، أن نقضى حياتنا الأرضية بطريقة تجعلنا ننفصل خلالها عن الشركة مع الأرواح الساقطة وأن يدخلنا فى الشركة مع الأرواح الطاهرة ، لكى ، على هذا الأساس ، وقد خلعنا عنا الجسد ، نستطيع أن نحسب مع الأرواح الطاهرة وليست الأرواح الساقطة " . (ص ٦٧)

لقد كتب هذا التعليم للأسقف إغناطيوس بريانشانينوف منذ ما يربو على المائة عام ، وكان من الممكن أن يكتب نفس هذا الكلام فى يومنا هذا ، حيث أنه يصف بدقة الخدع الروحية الموجودة فى عصرنا ، حيث انفتحت أبواب الإغراء (نحن نستعمل العبارة التى أشاعها أحد الخبراء فى هذا المجال وهو ألدوس هكسلى) فى الإنسان لدرجة لم يحلم بها هؤلاء الذين عاصروا

الأسقف إغناطيوس .

وهذه الكلمات ليست فى حاجة إلى تعليق . ولابد أن القارئ المتفهم قد بدأ فى تطبيقها على تجارب " مابعد الموت " التى وصفناها فى هذه الصفحات وأنه بدأ يعرف الخطر المريع الذى قد تأتى به هذه التجارب على الروح الإنسانية . إن الإنسان الذى يعى هذا التعليم الأرثوذكسى لايستطيع إلا أن ينظر فى ذهول وفزع إلى السهولة التى يثق بها " المسيحيون " المعاصرون فى الرؤى والتجليات التى أصبحت منتشرة الآن .

والسبب فى هذه السذاجة واضح : ذلك أن الكاثوليكية الرومانية والبروتستانتية اللتين انقطعتا منذ قرون وحتي اليوم - عن التعليم الأرثوذكسى وممارسة الحياة الروحية ، قد فقدتا كل الإمكانيات الضرورية للتمييز فى مجال الأرواح . ولقد أصبحت الخاصية المسيحية لعدم الثقة المطلقة فى أفكار الإنسان ومشاعره الطيبة غريبة عليهم تماماً . ونتيجة لذلك أصبحت التجارب الروحية وتجليات الأرواح أكثر شيوعاً اليوم عنها فى أى عصر آخر من عصور المسيحية . وصار الجنس البشرى الذى يصدق كل ما يقال له مستعداً لقبول فكرة " عصر جديد " من المعجزات الروحية ، أو "انسكاب جديد للروح القدس " لتفسير هذه الحقيقة .

ولكم أصبح الجنس البشرى فقيراً ، وهو يتخيل نفسه " مسيحياً " حتى وهو يعد ذاته للدخول فى عصر " معجزات الشيطان " الذى هو علامة على الأزمنة الأخيرة (سفر الرؤيا ١٦ : ١٤) .

ويجب أن نضيف أن المسيحيين الأرثوذكس أنفسهم ، بينما هم يمتلكون التعليم المسيحى الحقيقى - نظرياً - إلا أنهم نادراً ما ينتبهون

لذلك ، وكثيراً ما يسهل خداعهم كما يخدع غير الأرثوذكسيين ، وعلى ذلك فهذا هو الوقت المناسب لإستعادة هذا التعليم بالنسبة لهؤلاء الذين يستحقونه بحكم المولد !

أما هؤلاء الذين يصفون الآن تجاربهم المتعلقة بالحياة بعد الموت ويكتشفون فى أنفسهم ثقتهم فى تجاربهم هذه فهم مثل هؤلاء الذين ضلوا فى الماضى ، هذا ويتضمن كل الأدب المعاصر عن هذا الموضوع القليل من الحالات التى يقف عندها الإنسان فى جدية ليسأل نفسه : أى أجزاء هذه التجربة على الأقل - من وحي الشيطان ؟ وبالطبع فإن القارئ الأرثوذكسى سيسأل هذا السؤال ويحاول أن يفهم هذه التجارب فى ضوء التعليم الروحى المأخوذ عن الآباء والقديسين الأرثوذكسيين .

والآن علينا أن نمضى لنرى ما يحدث بالتحديد للروح عندما تفارق الجسد عند الموت وتدخل فى نطاق الأرواح ، وذلك حسب التعليم الأرثوذكسى .

الفصل السادس

مراكز التفتيش الهوائية

إن المكان المخصوص الذى تسكنه الشياطين فى هذا العالم الساقط، والمكان الذى تلتقى فيه بهم أرواح الراحلين حديثاً - هو الهواء - ويصف الأسقف إغناطيوس هذا النطاق ، الذى يجب فهمه جيداً قبل أن تصبح تجارب حياة ما بعد الموت المعاصرة - مفهومة تماماً .

" إن كلمة الله والروح الذى يشترك معها فى العمل ، يكشفان لنا ، من خلال أدواتهما المختارة ، أن الفضاء الموجود بين السماء والأرض ، كل امتداد الهواء اللازوردى ، الذى يظهر لنا تحت السموات ، يقوم بدور المسكن بالنسبة للملائكة الساقطة التى طردت من السماء ... والقديس بولس الرسول يسمى الملائكة الساقطة : أجناد الشر الروحية فى الأجواء السماوية (افسس ٦ : ١٢) ، ويسمى رئيسهم : رئيس سلطان الهواء (أفسس ٢ : ٢) . إن الملائكة الساقطة تتناثر وتنتشر فى كل الفضاء الشفاف الذى نراه فوقنا . وهى لا تتوقف عن مضايقة كافة المجتمعات الإنسانية ، وكل شخص على حدة ، فليس هناك عمل شرير ، أو جريمة ، إلا وتكون هى محرضة عليه ، أو مشاركة فيه . إنها تستميل الناس وتوعز إليهم بالإتجاه نحو الخطية بكل الوسائل الممكنة . يقول القديس بطرس الرسول : إن إبليس عدوكم يجول كالأسد الزائر باحثاً عن فريسه له . (بطرس الأولى ٥ : ٨) . وسواء أثناء حياتنا على الأرض أو بعد انفصال الروح عن الجسد ، عندما تفارق روح الشخص المسيحى مسكنها الأرضى تبدأ فى نضالها فى الصعود فى الفضاء الهوائى نحو مسكنها فى العلا ، بينما تعمل الشاطين على إيقافها ، محاولة أن تجد تقارباً بينها وبين تلك الروح ، وذلك فى الخطيئة ، والسقوط ، لكى

تجرها معها إلى أسفل إلى الجحيم وجهنم المعدة لابليس وملائكته (متى ٢٥ : ٤١) . وهى تفعل ذلك بموجب حقها الذى أكتسبته (مجموعة أعمال الأسقف إغناطيوس - المجلد الثالث - ص ص ١٣٢ - ١٣٣) .

ويكمل الأسقف إغناطيوس قائلاً أنه بعد سقوط آدم وإغلاق الفردوس فى وجه الإنسان وإقامة الكاروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة ، (التكوين ٣:٢٤) فإن رئيس الملائكة الساقطة وهو الشيطان ، مع أسراب الأرواح الخاضعة له " يقفون فى الطريق ما بين الأرض والفردوس ، ومن ذلك الحين حتى موت المسيح الذى حمل الآلام ومنح الحياة ، لم يسمح لأى روح بشرية بالسير فى هذا الطريق بعد أن تفارق الجسد ، لأن بوابات السماء قد أغلقت أمام الإنسان الى الأبد ، فالأبرار والخطاة جميعاً كانوا يهبطون إلى الجحيم (بعد الموت) . ولم تنفتح تلك البوابات وذلك الطريق الذى لا يعبر إلا لسيدنا يسوع المسيح (وحده) . (ص ص ١٣٤-١٣٥). وبعد خلاصنا بالمسيح فإن "جميع الذين رفضوا المخلص صراحة الوارثين مع الشيطان : تهبط أرواحهم مباشرة - بعد انفصالها من الجسد - إلى الجحيم . أما المسيحيون الذين مالوا إلى الخطية فإنهم أيضاً لا يستحقون الانتقال فوراً من الحياة الأرضية إلى الأبدية المباركة . إن العدل ذاته يطالب بأن يعاد وزن وتقييم هؤلاء الذين مالوا للخطية وهؤلاء الذين خانوا المخلص . إن الأمر يحتاج إلى الحكم والتمييز لتحديد درجة ميل هذه الروح المسيحية نحو الخطية ، ولتحديد ما يسيطر عليها - هل سيكون نصيبها هو الحياة الأبدية أم الموت الأبدى ؟ إن عدل الله الذى لا يحابى أحداً ينتظر كل روح مسيحية بعد رحيلها عن الجسد كما قال بولس الرسول : كما وضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة . (عبرانيين ٩ : ٢٧) .

" لقد وضعت قوى الظلام لاختبار الأرواح عند مرورها خلال طبقات

الهواء مراكز أنشأتها هى أماكن للفصل القضائى مع وجود حراس فى نظام ملحوظ . إن فرق الحراسة من الأرواح الساقطة تقف فى الطبقات الهوائية تحت السماء ابتداء من سطح الأرض إلى السماء نفسها . ويتحمل كل قسم مسئولية شكل خاص من الخطية حيث تختبر فيه الروح عندما تصل إلى هذا القسم . وفى كتابات الآباء تسمى مراكز الهواء التى يحرسها جنود الشيطان ويحاكمون فيها الأرواح : مراكز التفتيش . وتسمى الأراوح التى تخدم فيها : جباة الضرائب . (الجزء الثالث - ص ١٣٦) .

كيف نفهم مراكز التفتيش

ربما لاتوجد ناحية من نواحى الاسخاطولوجى (علم الآخره) الأرثوذكسى فى مثل صعوبة ظاهرة مراكز التفتيش الهوائية . فيميل الكثير من خريجى الكليات اللاهوتية المحدثين إلى تجاهل هذه الظاهرة كلية على أساس أنها نوع من " الإضافات الأخيرة " للتعاليم الأرثوذكسية ، أو أنها نوع من الميادين الخيالية التى لاتستند إلى أساس من نصوص الكتاب المقدس أو أقوال الآباء أو الحقيقة الروحية . إن مثل هؤلاء الطلبة هم ضحايا التعليم العقلى الذى نفتقده فى الإحاطة المهذبة بالمستويات المختلفة للحقيقة تلك التى جرى وصفها فى النصوص الأرثوذكسية ، وكذلك المستويات المختلفة للمعانى الموجودة غالباً فى نصوص الكتاب المقدس وكتابات الآباء ، فالعقليون المحدثون يؤكدون بشدة على المعنى " الحرفى " للنصوص ، "الواقعية " وأن هذا المفهوم الدنيوى للأحداث التى جرى وصفها فى الكتاب المقدس وسير القديسين - قد نحا نحو طمس أو حتى تشويه كافة المعانى الروحية والتجارب الروحية ذات الأولوية فى المصادر الأرثوذكسية ، ولذلك فإن الأسقف إغناطيوس الذى كان عقلانياً حديثاً من جهة ، وتلميذاً حقيقياً وبسيطاً للكنيسة من الناحية الأخرى ، يمكن أن يقوم بدور الجسر الذى يجب

أن يجد فوقه المثقفون الأرثوذكسيون من أبناء هذا العصر - طريقهم إلى تراث الأرثوذكسية الحقيقى .

وقبل المضى فى عرض تعاليم الأسقف إغناطيوس عن مراكز التفتيش الهوائية - فلنذكر تحذير اثنين من المفكرين الأرثوذكس أحدهما حديث والآخر قديم - بالنسبة لهؤلاء الذين يدخلون فى بحث حقيقة العالم الآخر .

ففى القرن التاسع عشر كتب المطران مكاريوس مطران موسكو ، فى بحثه لحالة الأرواح بعد الموت ، قائلاً :

" يجب أن نتذكر أنه كما هو عام فى تصوير الأشياء المتعلقة بالعالم الروحى ، بالنسبة لنا نحن الملتحفين بالجسد ، لايمكن تفادى معالم معينة هى أقل أو أكثر قابلية للحس أو التشبيه - وحيث أن هذه المعالم لايمكن تفادى وجودها أيضا فى التعليم الواسع عن منازل الإنتقال التى تعبرها الروح بعد الانفصال عن الجسد ، فلذلك علينا أن نتذكر بدقة التعليمات التى حملها الملاك إلى القديس مقاريوس الإسكندرى عندما بدأ يحدثه عن منازل الإنتقال : " اقبل الأشياء الأرضية هنا بصفتها أضعف أنواع صور الأشياء السمائية " . وعلينا أن نتصور مراكز التفتيش لا بالمفهوم المادى الخام والحسى ، ولكن - بالمفهوم الروحي - على قدر ما يمكننا ، ولا نتقيد بالتفصيلات الموجودة فى الكتابات المختلفة والروايات المأخوذة عن الكنيسة نفسها ، بأساليب مختلفة حتى لو كانت الفكرة الأساسية عن مراكز التفتيش واحدة ومتشابهة . " (*)

(*) Metropolitan Macarius of Moscow , " Orthodox Dogmatic Theology (in Russian) , St. Petersburg , 1883,vol.2,p.538.

لقد أعطانا القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات بعض الأمثلة المحددة حول تلك التفصيلات التى لا نجد لها تفسيراً بطريقة "مادية وحسية" وذلك فى الكتاب الرابع من محاوراته ، الذى خصصه لمسأله الحياة بعد الموت، كما رأينا منذ قليل .

وعلى ذلك ، فعند وصف مارآه أحد التائبين بعد الموت ، الذى رأى قساً خاطئاً يحرق فوق كومة ضخمة من الخشب ، يقول القديس غريغوريوس:" إن كومة الخشب التى رآها التائب لاتعنى أن الخشب يحترق فى جهنهم . إنها تعنى إعطاءه صورة واضحة لنيران جهنم ، حتى أنه لدى وصفها للناس ، يتعلمون الخوف من النار الأبدية من خلال تجربتهم مع النار الطبيعية" . (المحاضرة الرابعة ، فصل ٣٢ ، ص ص ٢٢٩ - ٢٣٠) .

ومرة أخرى بعد أن وصف القديس غريغوريوس كيف أن رجلاً قد أعيد بعد الموت بسبب " غلطة " - تتلخص فى أن شخصاً آخر يحمل نفس الإسم كان هو المطلوب استدعاؤه ليفارق الحياة (لقد حدث ذلك أيضاً فى تجارب " مابعد الموت " المعاصرة) - ويضيف القديس غريغوريوس أنه "عندما يحدث ذلك ، فإن الاعتبار الدقيق سيكشف أنها لم تكن غلطة ، ولكنها كانت تحذيراً [١] . والرب الرحيم يسمح برحمته الواسعة ، لبعض الأرواح بالعودة إلى أجسادها بعد الموت بقليل ، لكى تتعلم من رؤية الجحيم أن تخاف العقاب الأبدى الذى لن تستطيع الكلمات وحدها أن تجعلها تؤمن به . (المحاورة الرابعة ، فصل ٣٧ ص ٢٣٧) .

وعندما يرى شخص فى رؤيا عن الحياة بعد الموت ، المساكن الذهبية

---

(١) أنظر المقدمة التى كتبها نيافة الأنبا غريغوريوس لترجمة كتاب الدكتور مودى الذى قمنا بترجمته تحت إسم : الحياة بعد الموت (المترجم)

في الفردوس ، يعلق القديس غريغوريوس على ذلك قائلاً : " من المؤكد أن الإنسان العاقل لن يأخذ العبارة حسب معناها الحرفي ... ومادامت مكافأة المجد الأبدى لاتكتسب إلا بالسخاء فى العطاء ، فإنه يبدو أنه من الممكن بناء مسكن أبدى بالذهب " (المحاورة الرابعة ، الفصل ٣٧ ، ص ٢٤١) .

وفيما بعد سيكون لنا بعض ما نقوله عن الاختلاف بين رؤى العالم الآخر ، وتجارب الخروج من الجسد الطبيعية هناك (تجارب مراكز التفتيش والعديد من تجارب مابعد الموت المعاصرة تنتمى بوضوح إلى النوعية الأخيرة) ، ولكن علينا أن نتذكر أن هذه التجارب لاتحدث فى عالمنا المادى الحسى ، وأن الزمان والمكان وإن كانا موجودين لكنهما مختلفان تماماً ، عن مفاهيمنا الأرضية المتعلقة بالزمان والمكان . وأن الحديث عن هذه التجارب بلغة أرضية يبتعد كثيراً عن الحقيقة . ومن الطبيعي أن أى شخص على دراية بنوعية الأدب الأرثوذكسى الذى يصف حقيقة ما بعد الموت ، يعرف كيف يميز بين الحقائق الروحية الموصوفة هناك والتفاصيل العرضية التى يجري التعبير عنها أحياناً فى لغة رمزية أو خيالية . وعلي ذلك فإنه لاتوجد طبعاً " مراكز " مرئية أو " خيام " فى الهواء حيث تجمع الضرائب ، وحيث يرد ذكر " لفائف " أو آلات الكتابة حيث تسجل الخطايا ، أو "موازين" توزن بها الفضائل ، أو " ذهب " تدفع به " الديون " - ففى هذه الحالات جميعها نفهم تماماً أن هذه الصور أدوات تصويرية أو توضيحية تستخدم للتعبير عن الحقيقة الروحية التى تقابلها الروح فى ذلك الوقت . وسواء كانت الروح تري هذه الصور طبيعياً فى هذا الوقت طبقاً لما تعودته طوال حياتها من رؤية الحقيقة الروحية فقط من خلال الأشكال الجسدية ، أو تستطيع أن تتذكر فيما بعد التجربة فقط باستخدام تلك الصور ، أو أنها ببساطة ترى استحالة التعبير عما اختبرته بأى طريقة أخرى - وهذا كله يمثل

سؤالاً ثانوياً يبدو غير ذى أهمية بالنسبة للآباء الأطهار وكتاب سير القديسين الذين دونوا مثل هذه التجارب . والمؤكد هو وجود اختبار تقوم به الشياطين التى تظهر فى شكل مختف ولكنه بشرى ، حيث تتهم المنتقلين حديثاً بالخطايا ثم تحاول حرفياً أن تقبض على الجسم الدقيق للروح ، الذى تمسك به الملائكة بقوة ، ويحدث ذلك كله فى الهواء فوقنا ، ويمكن رؤيته بمعرفة هؤلاء ذوى العيون المفتوحة على الحقيقة الروحية .

والآن دعنا نعود إلى عرض الأسقف إغناطيوس للتعليم الأرثوذكسى عن مراكز التفتيش الهوائية .

شهادة الآباء عن مراكز التفتيش

إن التعليم الخاص بمنازل الإنتقال هو تعليم الكنيسة . ولاشك أن هناك (تأكيد فى الأصل) على أن القديس بولس الرسول كان يتكلم عنه عند أعلانه أن المسيحيين يجب أن يصارعوا أجناد الشر الروحية في السماويات (افسس ٦ : ١٢) . ونجد هذا التعليم فى أقدم تعاليم الكنيسة وفى صلوات الكنيسة (مجلد ٣ ، ص ١٣٨) . ويذكر الأسقف إغناطيوس العديد من الآباء الأطهار الذين علموا بما يتعلق بمراكز التفتيش ، وسنذكر هنا بعضاً منهم:

القديس أثناسيوس الرسولى فى كتابه : حياة القديس العظيم الأنبا أنطونيوس وفيه يصف كيف أن الأنبا أنطونيوس " عند اقتراب الساعة التاسعة ، وبعد البدء فى الصلاة قبل تناول الطعام ، أمسك بالروح ورفعته الملائكة إلى الأعالى ، ولكن شياطين الهواء أخذت تعوق تقدمه : أما الملائكة وهى تجادلها ، فقد ذكرت أن أسباب معارضتها له غير موجودة لأن القديس أنطونيوس لم تكن فيه خطية بالمرة ، وعندما جاهدت الشياطين

لتبيان الخطايا التى اقترفها منذ ولادته ، سدت الملائكة أفواه هؤلاء المفترين، وقالت لهم أنه يجب عليهم ألا يحصوا الخطايا منذ ولادته لأنها قد محيت بنعمة المسيح ، ولكن عليهم أن يبينوا الخطايا الحالية ، إذا وجدوا شيئا منها ، الخطايا التى أقترفها بعد دخوله فى الرهبنة وتكريس ذاته لله . فأوردت الشياطين أكاذيب وقحة اتهمته بها ، ولكن نظراً لأن اتهاماتها كان ينقصها البرهان ، فإنها أفسحت الطريق لمرور أنطونيوس . وسرعان ما عاد إلى نفسه ورأى أنه يقف حيث كان واقفاً يصلى . أما وقد نسي الطعام فإنه قضى الليل كله يبكى بدموع وتأوهات ، كاشفاً عن كثرة أعداء الإنسان ، والنضال ضد مثل هذا الجيش ، وصعوبة المسار إلى السماء خلال الهواء ، مع ترديد كلمات الرسول بولس الرسول الذى قال : " فإن مصارعتنا ليست معَ لحم ودم ولكن ضد رؤساء وقوات الهواء " (افسس ٦ : ١٢ ، ٢ : ٢) . والرسول يعرف أن قوات الهواء تبحث عن شئ واحد فقط تهتم به بكل حماس، وتجهد ذاتها وتناضل لتحرمنا من حرية العبور إلى السماء ، ولذلك يحضنا على الجهاد قائلاً :

احملوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تقاوموا فى اليوم الشرير (افسس ٦ : ١٣) . لكى يخزى المضاد إذ ليس له شئ ردئ يقوله عنكم . (تيطس ٢ : ٨) . [1]

ويعلمنا القديس يوحنا ذهبى الفم ، وهو يصف ساعة الموت - قائلاً :

(١) أورد المؤلف هذه الرواية عن سيرة القديس الأنبا أنطونيوس التى كتبها القديس أثناسيوس الرسولى وذكرها الأسقف إغناطيوس فى أعماله (المجلد الثالث ، ص ص ١٣٨ - ١٣٩) وكذلك وردت فى النص الإنجليزى لهذه السيرة فى كتاب عنوانه Life of Saint Anthony - فى طبعة Eastern Orthodox Books - ص ٤١ . واعتماداً على أقوال وشواهد المؤلف عدت إلى الترجمة =

" ثم نحتاج إلى صلوات عديدة ومعاونين كثيرين ، وأعمال صالحة كثيرة وشفاعة عظيمة من الملائكة أثناء رحلتنا خلال طبقات الهواء . وإذا كنا أثناء الرحلة فى أرض أجنبية أو مدينة غريبة نحتاج إلى دليل ، فكم تكون حاجتنا أشد إلى مرشدين ومعاونين لإرشادنا فى إجتياز القوى غير المرئية وحكام عالم هذا الهواء ، الذين نطلق عليهم أسماء المضطهدين والعشارين وجباة الضرائب" .

(موعظة عن الصبر والامتنان ، تقرأ فى ترتيبات الكنيسة الأرثوذكسية فى سبت النور وفى صلوات الجناز) .

وقد كتب القديس مقاريوس الكبير قائلاً : " عندما تسمع أن هناك أنهاراً تمتلى بالتنانين ، وأفواه أسود ، وقوى الظلام التى تحت السموات ، والنار التى تحرق وتشوى الأعضاء ، فإنك لاتفكر فيها ، ولاتعرف أنك بدون أن تقبل عربون الروح (كورنثوس الثانية ١ : ٢٢) فإنها سوف تقبض على

= العربية لسيرة القديس أنطونيوس كما كتبها القديس أثناسيوس - فوجدت هذه الرواية فى الفقرة رقم ٦٤ . أما الفقرة رقم ٦٥ فقد ورد بها مايلى :
« وإذا خرج تَطلّع إلى فوق فرأى واحداً واقفاً يصل الى السحاب . طويلاً مرعباً مزعجاً وآخرين صاعدين كأن لهم أجنحة . ويسط الشيخ يديه فصد بعض الصاعدين ، بينما طار الباقون إلى فوق . وإذا خلا لهم طريق الجو إلى السماء حملوا إلى فوق بلا عناء . عند ذلك أصر المارد على أسنانه ، ولكنه شمت بأولئك الذين سقطوا . وللحال أتى الصوت إلى أنطونيوس : أتفهم ماترى ؟ فأنفتح ذهنه ، وفهم أن هذا عبور النفوس ، وأن ذلك الكائن الطويل الذى وقف هو العدو الذى يحسد المؤمنين ، وأن الذين أمسكهم وصدهم عن العبور مدينون له ، أما الذين عجز عن أن يمسكهم وهم يجتازون إلى فوق فهم الذين لم يخضعوا له » (المترجم)

روحك أثناء خروجها من الجسد ، وتمنعك من الإرتفاع إلى السماء (أنظر : خمسون موعظة روحية Fifty Spiritual Homilies - الموعظة ١٦ : ١٣ - جمعها A.J.Mason في سلسلة Eastern Orthodox Books - الناشر Willits - كاليفورنيا سنة ١٩٧٤ - ص ١٤١) .

ويعلمنا القديس إشعياء الناسك من آباء القرن السادس ، بأنه يجب علينا نحن المسيحيين " أن نري الموت أمام عيوننا كل يوم وأن نهتم بكيفية تحقيق الرحيل عن الجسد وكيفية المرور من قوى الظلام التى تلاقينا فى الهواء " (عظة ٥ : ٢٢) " عندما تفارق الروح الجسد ، تصحبها الملائكة ، وتأتى قوى الظلام لمقابلتها ، راغبة فى اعتقالها ، وتمتحنها لترى ما إذا كانت تجد فيها شيئاً يخصها من عدمه " (عظة ١٧) .

ومرة أخرى لجد القديس هسيشيوس St. Hesychius قسيس كنيسة أورشليم (القرن الخامس الميلادى) يعلمنا قائلاً : " إن ساعة الموت ستدركنا ، وهى ستأتى حتماً ، ولن نفلت منها . آه لو أن رئيس هذا العالم والهواء ، الذى سيلقانا ، يجد أن نقائصنا ليست ذات قيمة أو معنى ، فلا يستطيع إتهامنا بشئ ! " (عظة عن الوقار فى الفيلوكاليا) .

أما القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات (٦٠٤م) فيكتب فى عظاته عن الإنجيل : " على الإنسان أن ينظر بعمق فى رهبة ساعات الموت بالنسبة لنا ، ومدى الرعب الذى ستعانيه الروح حينذاك ، وكيف أنها ستتذكر كافة الشرور ، وتنسى السعادة التى مضت ، ومدى الخوف ، أو التوجس من الدينونة . ثم ستبحث الأرواح الشريرة فى أعمال الروح الراحلة، ثم تبرز أمام ناظريها الخطايا التى اقترفتها ، ولكى تؤكد اشتراكها فى العذاب . ولكن

لماذا نتحدث فقط عن الروح الخاطئة ، مع أن الأرواح الشريرة تأتى أيضاً إلى المختارين من بين المحتضرين وتبحث عما يخصها فيهم ؟ ولايوجد بين الناس سوى واحد فقط هو الذى قال بلا خوف أثناء معاناته :

" لا أقول لكم بعد كلاماً كثيراً ، لأن رئيس هذا العالم يأتي ولايملك فيَّ شيئاً " (يوحنا ١٤ : ٣٠) (عظات عن الأناجيل - العظة ٣٩ عن فصل من الجيل لوقا ١٩ : ٤٢ - ٤٧ - المجلد الثامن من كتاب الأسقف إغناطيوس - ص ٢٧٨) .

وكذلك فإن القديس إفرايم السريانى (٣٧٣م) يصف ساعة الموت والاستجواب عند منازل التفتيش قائلاً : " عندما تأتي الحشود المرعبة ، وعندما تأمر الملائكة الأطهار الروح بالخروج من الجسد ، عندما يسحبوننا بالقوة ويقودوننا بعيداً إلى مكان الاستجواب الحتمى - حينئذ يرتعش الإنسان المسكين لدى رؤيتهم كما لو كان قد وقع له زلزال ، إنه يرتعش كله.... ثم تصعد الملائكة الأطهار فى الهواء ومعها الروح حيث يقف الرؤساء والسلطات وولاة العالم من القوات المناهضة . إن هؤلاء هم المشتكون علينا ، والعشارون المرعبون ، وحافظو السجلات ، وجباة الضرائب . إنهم يلاقون الروح فى الطريق ، فيسجلون ويفحصون ويحصون الخطايا والديون المثقل بها هذا الإنسان - خطايا الشباب والعمر المتقدم ، التى صنعها بإرادته وبغير إرادته ، سواء كانت بالفعل أو القول أو الفكر . وكم هو عظيم الخوف هنا ! وكم هو عظيم إرتعاد الروح المسكينة ، وكم يصعب وصف الحالة التى تعانيها من حشود أعدائها الذين لايحصون عدداً ، والذين يحيطون بها فى ربوات كثيرة ، يفترون عليها حتى يحولوا بينها وبين الصعود إلى السماء ، للسكنى فى نور الحياة ، ودخول أرض الحياة ، ولكن الملائكة الأطهار التى

تحمل الروح تقودها بعيداً (*) .

وتتضمن الصلوات العامة المقدسة للكنيسة الأرثوذكسية إشارات كثيرة إلى مراكز التفتيش .وعلى ذلك فإننا نجد فى كتاب Octoechos الذى وضعه القديس يوحنا الدمشقى (القرن الثامن) ما يشير إلى ذلك .

" أيتها العذراء ، أنقذينى فى ساعة الموت من أيدى الشياطين ، ومحاسبتهم ،واتهاماتهم ، واختبارهم المخيف ، ومراكز التفتيش المريرة ، والرئيس الضارى ، والهلاك الأبدى ، يا والدة الإله . " [١] ومرة أخرى نقرأ :

" عندما تصبح روحى على وشك مفارقة رباطات الجسد ، تشفعى لأجلى أيتها السيدة والملكة ... حتى أمر بلا عائق من أمراء الظلام الواقفين فى الهواء (اللحن الثانى ، يوم السبت ، الأنشودة ٩) [٢] . ويقدم لنا الأسقف إغناطيوس سبعة عشر مثالاً آخر من هذه النوعية المأخوذة عن الصلوات العامة للكنيسة، وبالطبع فإن هذه الأمثلة ليست على سبل الحصر. على أن أكمل دراسة أدارها آباء الكنيسة الأوائل حول مراكز التفتيش الهوائية نجدها فى موعظة القديس كيرلس الأسكندرى (توفى ٤٤٤ م)

(*) مجموعة أعمال القديس افرايم السريانى (بالروسية) نشرت فى موسكو سنة ١٨٨٢ - مجلد ٣ - ص ص ٣٨٣ - ٣٨٥ .

(١) هذه الفقرة مأخوذة عن صلوات الأجبية لحن ٤ - الجمعة - الأنشودة ٨ - من صلاة الصباح . ويقابلها عندنا القطعة الثالثة والأخيرة من صلاة الغروب ، حيث تقول : " فهيئ لى أسباب التوبة أيها السيدة العذراء ، فإليك أتضرع وبك أستشفع وإياك أدعو أن تساعدينى لئلا أخزى " . (المترجم)

(٢) يقابلها عندنا بقية القطعة الثالثة من صلاة الغروب حيث تقول : " وعند مفارقة نفسى من جسدى أحضرى عندى ولمؤامرة الأعداء اهزمى ولأبواب الجحيم اغلقى لئلا يبتلعوا نفسى ياعروس بلا عيب للختن الحقيقى " . (المترجم)

التى تتضمنها وتشتمل عليها طبعات اللغة السلافية لكتاب المزامير المعدة للتلاوة فى القداسات الإلهية . وبين الكثير الذى أورده القديس كيرلس فى الموعظة المذكورة ، يقول مايلى :

" ما أشد الخوف والارتعاد الذى ينتظرك أيتها الروح ، فى يوم الممات! سوف ترين شياطين مرعبه ، ومتوحشة ، وقاسية ، ومجرده من الرحمة ، ومخزيه - تقف أمامك مثل الاحباش السود . إن منظرها أسوأ من أى عذاب. وعندما تراها الروح تنزعج ، وتتضايق ، وتضطرب ، وتبحث عن مخبأ ، وتسرع إلى ملائكة الله ، فتمسك الملائكة الأطهار بالروح ، وتمرق بها خلال الهواء ، وترفعها حيث تصل إلى مراكز التفتيش التى تحرس الطريق من الأرض إلى السماء ، لكى تعطل الروح وتعوقها عن الصعود إلى أعلى. وكل مركز للتفتيش يختبرها من حيث الخطايا المسئول عنها ، لأن كل خطية، وكل شهوة ، لها جباة الضرائب والفاحصون المسئولون عنها " .

على أن العديد من الأباء قبل القديس كيرلس وبعده ، ناقشوا ، وذكروا مراكز التفتيش ، ويستنتج مؤرخ الفكر الكنسى العقائدى فى القرن التاسع عشر بعد أن اقتبس الكثير من أقوالهم مايلى : " إن مثل هذا الاستعمال غير المنقطع ، والثابت ، والشائع فى الكنيسة ، للتعليم المتعلق بمراكز التفتيش ، خاصة بين معلمى القرن الرابع ، يدل بلا نزاع على أن هذا التعليم قد سلم إليهم من معلمى القرون السابقة ، وأنه يقوم على التقليد الرسولى " . (*)

(*) Metropolitan Macarius of Moscow, " Orthodox Dogmatic Theology. " Vol.2, P.535.

مراكز التفتيش فى حياة القديسين

وتتضمن حياة القديسين الأرثوذكسيين روايات عديدة - بعضها مثير جداً - عن كيفية عبور الروح خلال مراكز التفتيش بعد الموت . وأكثر هذه الروايات تفصيلاً نجدها فى حياة القديس باسيليوس الجديد (٢٦ مارس) التى تصف مسار القديسة ثيودورا خلال مراكز التفتيش كما ذكرتها فى رؤيا لأحد زملائها من تلاميذ القديس غريغوريوس . وقد ذكرت عشرين مركزاً محدداً ، مع نوعيات الخطايا التى تم فحصها فى كل مركز . ويورد الأسقف إغناطيوس هذه الرواية بإسهاب (المجلد الثالث ، ص ص ١٥١ - ١٥٨) . وتوجد الآن ترجمة إنجليزية لهذه الرواية فى كتاب : (أسرار أبدية وراء القبر - Eternal Mysteries beyond the Grave - ص ص ٦٩ - ٨٧).

ولاتتضمن شيئاً مهما عن مراكز التفتيش ، لايوجد فى المصادر الأرثوذكسية الأخرى ، ولذلك فإننا سنتغاضى عنها هنا لكى نقدم بعض هذه المصادر الأخرى . وهذه المصادر الأخرى أقل تفصيلاً ولكنها تتبع نفس الإطار العام للأحداث .

وعلى سبيل المثال نأخذ قصة الجندى تاكسيوتس Taxiotes (سير القديسين - ٢٨ مارس) ، وتقول القصة أنه عاد للحياة بعد ست ساعات من دفنه فى القبر وحكى التجارب التالية :

" عندما مت ، رأيت أحباشاً ظهروا أمامى . كان مظهرهم مخيفاً جداً، واضطربت روحى لدى رؤياهم ثم رأيت شابين رائعين ، وقفزت روحى وأرتمت

بين أذرعهم ، ثم بدأنا نصعد ببطء فى الهواء إلى الأعالى ، كما لو كنا نطير، ووصلنا إلى مراكز التفتيش التى تحرس الصعود وتمنع روح كل شخص . وكل مركز منها يمتحن نوعاً من الخطايا : أحدها لاختبار الكذب ، والاخرللحسد وآخر للكبرياء ، وكل خطية لها من يفحصها فى الهواء . ورأيت الملائكة قد أحتجزت كافة أعمالى الطيبة فى صندوق صغير ، ثم أخرجوها وكانوا يقارنونها بأعمالى الشريرة . وهكذا عبرنا جميع مراكز التفتيش . وعندما اقتربنا من بوابات السماء ، وصلنا إلى مركز التفتيش الخاص بالزنا ، وأمسك بى هؤلاء الذين يحرسون الطريق وأظهروا لى كافة أعمالى الجسدية المتعلقة بالفسق التى حدثت منذ طفولتى حتى الآن ، فقالت الملائكة التى كانت تقودنى : " إن كافة الخطايا الجسدية التى ارتكبتها فى المدينة قد غفرها الله لك لأنك تبت عنها " ؟. وعند ذلك قال لى أعدائى المشتكون ضدى : " ولكنك عندما تركت المدينة ، الى القرية ارتكبت جريمة الزنا مع زوجة فلاح " . وعندما سمعت الملائكة ذلك ولم تجد عملاً صالحاً يمكن أن يغطى خطيتى، تركتنى ومضت ، ثم أمسكتنى الأرواح الشريرة ، وبعد أن أشبعتنى ضرباً قادتنى إلى أسفل إلى الأرض . وانفتحت الأرض ، وأخذت أهبط درجات ضيقة ومتعفنة الرائحة إلى سجن الجحيم السفلى " (يمكن قراءة بقية هذه العظة بالانجليزية فى كتاب : Eternal Mystries beyond the Grave - ص ص ١٦٩ - ١٧١) .

ويذكر الأسقف إغناطيوس كذلك تجارب أخرى عن مراكز التفتيش فى حياة القديس يوستراتيوس Eustratius الشهيد العظيم (من القرن الرابع - ١٣ من ديسمبر) . والقديس نيفون من قنسطانطيا Constantia فى قبرص ذلك الذى رأى نفوساً عديدة صاعدة عبر مراكز التفتيش (القرن

الرابع - ٢٣ من ديسمبر) . والقديس سمعان المجنون بالمسيح الذى من مدينة إميسا Emesa (القرن السادس - ٢١ من يوليو) ، والقديس يوحنا الرحيم بطريرك الاسكندرية (القرن السابع - المقدمة ١٩ من ديسمبر) والقديس سمعان الذى من جبل العجائب (المقدمة القرن السابع - ١٣ من مارس) ، والقديس مقاريوس الكبير (١٩ من يناير) .

ولم يكن الأسقف إغناطيوس على علم بكثير من المصادر الأرثوذكسية فى الغرب التى لم تترجم إلى اليونانية أو الروسية ولكن هذه أيضاً غنية بوصف مراكز التفتيش . ويبدو أن أسم " مراكز التفتيش " مقصور فقط على المصادر الشرقية ، ولكن الحقيقة التى تصفها المصادر الغربية متطابقة .

وعلى سبيل المثال رأى القديس كولومبا Columba مؤسس دير جزيرة أيونا فى أسكوتلندة (توفى سنة ٥٩٧) مرات عديدة فى حياته ، قتال الشياطين فى الهواء من أجل أرواح الراحلين حديثاً . وقد ذكر القديس أدامنان Adamnan (توفى سنه ٧٠٤) هذه الرؤى فى القصة التى كتبها عن حياة هذا القديس ، وإليك واحدة منها :

فى أحد الأيام دعا القديس كولومبا رهبانه قائلاً لهم : " والآن دعونا نساعد بصلواتنا رهبان رئيس الدير كومجيل Comgell ، الذين غرقوا عند هذه الساعة فى خليج كالف Calf ، لأنهم فى هذه اللحظة يحاربون فى الهواء ضد القوى المعادية التى تحاول أن تنتزع روح غريب يغرق معهم " . ثم قال بعد الصلاة : " فلنشكر المسيح ، لأن الملائكة الأطهار تقابلت الآن مع هذه الأرواح الطاهرة وخلصت ذلك الغريب وأنقذته بالانتصار على الشياطين

المغيرة المحاربة (*) ويحكى القديس بونيفيس Boniface القديس الأنجلو ساكسونى فى القرن الثامن وهو (الرسول الذى بشر الألمان بالمسيحية) فى إحدى رسائله ، القصة التى حكاها له شخصياً أحد رهبان دير وينلوك Wenlock الذى مات وعاد إلى الحياة بعد عدة ساعات " إن ملائكة أطهاراً رائعين قد حملوه إلى فوق عندما خرج من الجسد لدرجة انه لم يستطيع أن يحملق فيهم .... وقال : لقد رفعونى إلى أعلى . عالياً فى الهواء .... ثم أنه روى أنه فى فترة وجوده خارج الجسد فى الفضاء ، تركت أعداد كبيرة من الأرواح أجسادها وتجمعت فى المكان الذى كان فيه لدرجة أنه ظن أن هذا الجمع يضم كافة أفراد الجنس البشرى الذى يعيش على الأرض . وقال أيضاً أنه كان يوجد أيضاً جمع من الأرواح الشريرة وجوقة عظيمة من الملائكة العلوية . ثم قال أن الأرواح الشريرة والملائكة الأطهار دخلت فى خصومة شديدة حول الأرواح التى خرجت لتوها من أجسادها ، وكانت الشياطين توجه الإتهامات ضدها وتضخم من حمل خطاياها ، بينما كانت الملائكة تخفف من حملها وتلتمس لها الأعذار .

" ولقد سمع أن كافة خطاياه التى اقترفها منذ شبابه ولم يعترف بها أو نسيها ، أو لم يعرف أنها خطايا ، كانت تصرخ ضده ، كل منها بصوتها المميز الخاص بها ، وتتهمه إتهامات خطيرة ... كان كل شئ عمله فى كل أيام حياته وأهمل الإعتراف به ، والكثير مما لم يعرف أنه خطيئة .. كل ذلك أخذ يصرخ فيه الآن بكلمات مرعبة . وبنفس الأرواح ، كانت الأرواح الشريرة تصلصل برذائله ، متهمة إياه وتشهد ضده الأدلة ، ذاكرة الأوقات والأماكن

(*) St. Adamnan, " Life of Saint Columba, tr.by Wentworth Huyshe, London, George Routledge & sons , Ltd.,1939, Part III , ch. 13, P.207.

بالإسم ، مقدمة البراهين على أعماله الشريرة ... وهكذا أعلن هؤلاء الأعداء القدامى بما أقدموا عليه من تكديس خطاياه كلها فى كومة أمامه وإحصائها - أنه مذنب وأنه خاضع لسطانهم بلا منازع .

ثم قال : " أما من الجهة الأخري فإن الفضائل الفقيرة القليلة التى قدمتها بلا اكثرات ، وبدون استكمال قد تكلمت ودافعت عني ... كما أن تلك الأرواح الملائكية دافعت عني وساندتنى بحبها بغير حدود ، وبينما كانت الفضائل تتعالى فى عظمتها ، بدت لى أعظم وأروع مما لو كنت أقدر على ممارستها بقوتى الذات . " (*)

تجربة حديثة حول مراكز التفتيش

نستطيع أن نرى فى كتاب : مالا يصدقه الكثيرون ، ولكنه أمر قد حدث بالفعل ...Unbelievable for many ، رد فعل " رجل مستنير نموذجى - من عصرنا الحالى ، عندما إلتقى بمراكز التفتيش بعد موته " إكلينيكياً " (ذلك الموت الذى استغرق ٣٦ ساعة) : " حملتنى الملائكة فوراً خلال حائط العنبر إلى الشارع بعد أن أمسكتنى من ذراعى . وكان الظلام على وشك الحلول ، كما كان الثلج يتساقط فى رقائق كبيرة . رأيت ذلك ، ولكننى لم أشعر بالبرد ، أو اختلاف درجة الحرارة ما بين الحجرة والخارج بصفة عامة . وكان من الواضح أن هذه الظواهر المتشابهة قد فقدت

(*) The Letters of Saint Boniface, tr.by Ephraim Emerton, Octagon Books (Farrar , Strauss & Giroux),New york, 1973, PP. 25 - 27.

معناها بالنسبة لجسدى المتغير . وبدأنا فى الصعود سريعاً . ومع التقدم فى درجة الصعود ازداد اتساع الفضاء الذى كان يتكشف أمام أعيننا ، وفى النهاية وصلنا إلى تلك الأجزاء حيث خالجنى الخوف من حقيقة تفاهتي بالمقارنة إلى هذه المتاهة اللانهائية ...

أصبح مفهوم الزمن غائباً بالنسبة لحالتى العقلية فى هذا الوقت ، ولم أعرف كم هى المدة التى استغرقناها فى التحرك إلى أعلى ، عندما سمعت فجأة ضوضاء مبهمة فى البداية ، وبعد ذلك بدأ حشد من بعض الكائنات البشعة فى التقدم السريع نحونا بعد أن انبثق من مكان ما ، وقد استغرق فى صرخات عاليه وضحكات معربدة .

إنها أرواح شريرة ! - فهمت فجأة وقدرت بسرعة غير عادية أنه نتج عن الهلع الذى عشته فى ذلك الوقت ، هلع من نوع خاص لم أمر بمثله حتى ذلك الوقت - أرواح شريرة ! يالها من سخريه ، يالها من ضحكة عجيبة تلك التى ثارت فى داخلى منذ عدة أيام مضت . وحتى منذ عدة ساعات مضت كان يمكن أن يثير عندى مثل هذا الإحساس ليس قول شخص أنه قد رأى الأرواح الشريرة بعينيه ، بل كان يكفى مجرد قوله أنه يؤمن بوجودها كحقيقة أساسية . وكما هو متوقع من رجل " مثقف " فى نهاية القرن التاسع عشر ، فهمت أن ذلك يعنى ميولاً غبية ، وأهواء بشرية ، وهذا هو السبب فيما كان لوقع الكلمة نفسها من أثر عندي وليس معني الاسم فى حد ذاته . إنه مجرد اصطلاح يحدد مفهوماً معنوياً محدداً ، وفجأة ظهر أمامى هذا " المفهوم المعنوي " مجسماً فى شكل شخصى ...

" أما وقد أحاطت بنا الأرواح الشريرة من كافة الجوانب ، بصرخات وأصوات معربدة ، فقد طلبت تسليمى إليها ، وحاولت بطريقة ما أن تمسك

بى وتختطفنى من أيدى الملائكة ، ولكنه كان من الواضح أنها لم تجرؤ على ذلك ، وفى وسط صياحها المعربد ، الذى لايمكن تخيله ، والذى يعتبر مرفوضاً بالنسبة لأذنى ، كما كان منظرها كريهاً لعينى - استطعت أحياناً أن ألتقط كلمات بل وجملاً كاملة . " إنه يخصنا : لقد أنكر الله " - وفجاة صرخت فى اتفاق تام ، وهنا اندفعت نحونا بجرأة جعلت الخوف يجمد كل تيار الفكر فى عقلى لحظة . ولقد أردت أن أصرخ قائلاً : " هذا محض افتراء ! هذا غير حقيقى ! " ولكننى عدت إلى نفسى ، ألجمت لسانى ذكرى لطيفة ، تذكرت حدثاً صغيراً ليست له أهمية ، بطريقة لا أعرفها ، وظهر هذا الحدث مرتبطاً با تحكم فى فترة من شبابى ، فإذا بى أتذكره فى ذهنى".

وهنا يسرد المؤلف حدثاً تذكره من أيام المدرسة : حدث مرة ، خلال إحدى المناقشات الفلسفية التى يدخل فيها الطلبة ، أن عبر أحد زملائه عن الرأى التالى : " لماذا يتحتم أن أؤمن ؟ أليس من الممكن أيضاً ألا يكون الله موجوداً ؟ " وأجاب المؤلف على ذلك قائلاً : " ربما لا " . أما الآن وقد أحاطت به شياطين مراكز التفتيش التى توجه إليه الإتهامات ، فقد تذكر المؤلف قائلاً :

" كانت هذه العبارة بكل ما تعنيه الكلمة - تعبيراً باطلاً - فلم يثر حديث صديقى غير المنطقى أى شك فى نفسى فى وجود الله ، ولم أصغ على الخصوص إلى حديثه - والآن اتضح لى أن هذه العبارة الباطلة التى تفوهت بها لم تختف دون أن تترك أثراً فى الهواء ، كان لابد أن أبرر نفسى، وأن أدافع عن نفسى ضد الإتهام الموجه إلى ، وبطريقة حققها قول العهد الجديد عملياً : سنتقدم بالطبع حساباً عن كافة الكلمات التى نطقنا بها باطلاً، والتى تتعارض مع إرادة الله ، الذى يكشف أسرار قلب الإنسان ، كما

سيكشف عنها أيضاً غضب عدو الخلاص .

ومن الواضح أن هذا الاتهام كان هو أقوى الاحتجاجات التى تذرعت بها الأرواح الشريرة لإهلاكى ، وقد ظهرت وكأنها تستمد قوة جديدة من هذه الحادثة للمجاهدة بهجماتها ضدى ، والآن فإنها تحلقت حولنا فى خوار غاضب لتمنعنا من التقدم .

وتذكرت صلاة بدأت أتلوها ، طالباً المعونة من هؤلاء الأطهار الذين أعرف أسماءهم والذين تذكرت أسماءهم . ولكن ذلك لم يرهب أعدائى ، إننى الآن مجرد إنسان حزين وجاهل ومسيحى بالاسم فقط ، وبدا لى للمرة الأولى فى حياتى أننى أتذكرها .... إنها المعروفة باسم شفيعة المسيحيين .

واتضح أن تعلقى بها كان شديداً ، كما أن روحى كانت ممتلئة بالرعب ، لاننى نادراً ما تذكرت أو نطقت باسمها ، فجأة ظهر حولنا نوع من السحاب الأبيض الذى بدأ الآن يطوق فى داخله حشد الأرواح الشريرة القبيح . لقد أخفتهم عن عينى قبل أن ينسحبوا من مواجهتنا ، واستمر خوارهم وصراخهم مسموعاً لفترة طويلة . ولكن نظراً لأن أصواتهم أخذت تضعف فى شدتها تدريجياً حتى صارت أكثر خفوتاً ، فإننى استطعت أن أحكم بأن المطاردة الرهيبة قد اختفت تدريجياً وراء ظهرى . (١)

تجربة مراكز التفتيش قبل الموت

وعلى ذلك فإنه من الممكن أن نري من خلال أمثله واضحه عديدة

(1) Unbelievable for Many but Actually a True Occurence , in Orthoodox life, July - August, 1976.

أهمية أن تخرج الروح من خلال لقائها بالشياطين عند مراكز التفتيش بعد الموت . وعلى أية حال فإن هذه التجربة ليست بالضرورة محصورة بزمن ما بعد الموت ، فقد رأينا فيما سبق أن تجربة القديس العظيم الأنبا أنطونيوس مع مراكز التفتيش حدثت خلال إحدى تجارب الخروج من الجسد عندما كان واقفاً يصلى . وبالمثل يصف القديس يوحنا الدرجى تجربة حدثت لأحد الرهبان قبل موته فيقول : " فى اليوم السابق لموته ، دخل فى حالة اختطاف ونظر بعينيه المفتوحتين إلى يمين ويسار سريره كما لو كان قد دعى للحديث مع شخص ما ، وعلى مسامع جميع الواقفين حوله قال : " نعم ، حقاً ! إن هذا حقيقى ، ولكنه هو السبب الذى من أجله عشت صائماً لسنوات عديدة". ثم أكمل ثانية : " لا ، إنك تفترى على كذباً " . وفى بعض الأحيان كان يقول : " نعم ، هذا صحيح ، نعم ، إننى لا أعرف ماذا أقول عن ذلك . ولكن الله رحيم " . لقد كانت رؤيا مريعة وفظيعة بالفعل - أقصد هذا الإستجواب غير المرئى والمجرد من الرحمة . أما الأكثر هولاً ، فهو إتهامه بأفعال لم يقترفها . وكم كان مدهشاً أن يقول الناسك ، حيال العديد من خطاياه : " إننى لا أعرف ماذا أقول عن ذلك " . بالرغم من أنه كان راهباً لما يقرب من أربعين عاماً وكانت لديه موهبة الدموع ... وعندما دعى للحديث خرج من جسده ، تاركاً إيانا فى شك من نحو موضوع محاسبته أو نهايته،أو الحكم عليه ، أو كيفية أنتهاء المحاكمة."[1] حقاً ، إن المرور بمراكز التفتيش بعد الموت هو فقط شكل محدد ونهائى من أشكال المعركة العامة التى تخوضها كل روح مسيحية طوال حياتها . وفى ذلك يكتب الأسقف إغناطيوس قائلاً : " حيث أن قيامة الروح المسيحية من موت الخطية قد

---

(1) Ladder of Devine Ascent , tr. by Archimandrite Lazarus Moore, Eastern Orthodox Books, 1977,120 - 121

تحققت خلال تجوالها فى الأرض ، فهو قد تحدد بدقة ، هنا على الأرض ، أما اختبارها على يد قوات الهواء ، وأسرها بمعرفتهم أو تخليصها منهم فإنه يحدث أثناء الرحلة خلال الهواء (بعد الموت) وهذه الحرية أو هذا الأسر من الأمور التى اتضحت لنا " . (المجلد الثالث - ص ١٥٩) . أما بعض القديسين من أمثال القديس مقاريوس الكبير - الذى شاهد العديد من تلاميذه مساره خلال مراكز التفتيش - فقد صعد دون أن يعترضه " جباة الضرائب " من الشياطين ، لأنهم قاتلوهم وكسبوا المعركة ضدهم فى هذه الحياة . واليكم الحدث كما ورد فى قصة حياته :

" عندما حل وقت رحيل القديس مقاريوس حضر الكاروبيم وقد كان هو ملاكه الحارس ، ومعه طغمة من القوات السمائية ، لطلب روحه ، وقد نزلت مع الصفوف الملائكية جوقات من الرسل والأنبياء والشهداء ورؤساء الكهنة والرهبان والأبرار . ونظمت الشياطين نفسها فى صفوف وحشود فى مراكز التفتيش الخاصة بها ، لكى تشاهد مسيرة الروح الحاملة الإله . ولما بدأت فى الصعود ، صاحت أرواح الظلام - وكانت تقف بعيداً عنها - من مراكز التفتيش الخاصة بها : " آه يا مقاريوس ، ما أعظم المجد الذى نلته ! " فأجابها الرجل المتواضع قائلاً : " كلا ، إننى مازلت خائفاً لأننى لا أعرف ما إذا كنت قد عملت شيئاً صالحاً " وفى نفس الوقت ارتفع بسرعة نحو السماء ، فصاحت نحوه قوات الهواء من مواقعها فى مراكز التفتيش الأعلى قائلة : "تماماً ! لقد أفلت منا يامقاريوس " . فأجابها : " كلا ، إننى مازلت محتاجاً لأن أنجو " . وعندما وصل إلى بوابات السماء ، صرخت منتحبة بفعل الحقد والحسد قائلة : " تماماً ، قد أفلت منا يامقاريوس ! " فأجاب : " لقد أفلت من شباككم محروساً بقوة المسيح إلهى ! " (*) .

(*) هذه الرواية مدونة فى السنكسار القبطى تحت اليوم السابع والعشرين من برمهات =

" إن كبار قديسى الله يعبرون خلال حراس الهواء من قوات الظلام بمثل هذه الحرية العظيمة لأنهم أثناء حياتهم على الأرض خاضوا معركة شرسة ضدهم ، ومع إحراز النصر عليهم ، نالوا فى أعماق قلوبهم التحرر الكامل من الخطيئة ، وأصبحوا هيكلاً وحرماً للروح القدس ، ولم يجعلوا مسكنهم الإنسانى فى متناول أيدى الأرواح الساقطة " . (الأسقف إغناطيوس - المجلد الثالث - ص ص ١٥٨ - ١٥٩) .

الدينونة الخاصة

يعتبر المرور عبر مراكز التفتيش الهوائية ، فى اللاهوت العقائدى الأرثوذكسى جزءاً من الدينونة الخاصة ، التى يتحدد عن طريقها مصير الروح إلى يوم الحساب الأخير . وكلا الدينونتين تتم على أيدى الملائكة ، وهى التى تقوم بدور وسائط تحقيق العدل الإلهى : " هكذا يكون عند إنتهاء هذا الدهر : يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الأبرار ويطرحونهم فى أتون النار " . (متى ١٣ : ٤٩) .

= الموافق ذكرى نياحته ، وعنه ننقل النص القبطى وهو كمايلى : " وقد ورد فى مخطوط بشبين الكوم أن القديس ببنودة تلميذه ، رأى نفس الصديق عند صعوده إلى السماء ، والشياطين يصيحون خلفه قائلين : " لقد غلبتنا يا مقاريوس " . فأجابهم : " لم أغلبكم بعد " فلما وصل باب السماء صاحوا ثانية : " لقد غلبتنا " . فرد عليهم كالأول . ولما دخل باب السماء صاحوا : " وغلبتنا يا مقاريوس " . فقال لهم : " تبارك الرب يسوع المسيح الذى خلصنى من أيديكم " . (المترجم) .

إن المسيحيين الأرثوذكسيين سعداء لوجود التعليم المتعلق بمراكز التفتيش الهوائية والدينونة الخاصة الذى ورد بوضوح فى العديد من كتابات الآباء وسير القديسين ، ولكن الواقع أن أى شخص يتأمل بإمعان فى الكتاب المقدس وحده لابد وأن يتوصل إلى نفس هذا التعليم . وهكذا يقول الكاتب الإنجيلى البروتستانتى بيلى جراهام Billy Graham فى كتابه عن الملائكة:" عند لحظة الموت تفارق الروح الجسد وتتحرك خلال الهواء . ولكن الكتاب المقدس يعلمنا أن الشيطان يكمن متربصاً هناك . إنه " رئيس سلطان الهواء". (افسس ٢ : ٢) . وإذا انفتحت عيون أفهامنا لرأينا الهواء مليئاً بالشياطين أعداء المسيح وإذا كان الشيطان قد استطاع أن يعيق ملاك دانيال لمده ثلاثة أسابيع عن أداء إرساليته فى الأرض ، فإننا نستطيع أن نتصور كذلك مدى الاعاقة التى يمكن أن يسببها للإنسان المسيحى عند الموت ... إن لحظة الموت هى فرصة الشيطان الأخيرة لمهاجمة المؤمن الحقيقى ، ولكن الرب يرسل ملائكته لحراستنا فى تلك اللحظة. (*)

مراكز التفتيش معيار تجربة - مابعد الموت - الأصيلة

من الواضح أن كل ما وصفناه في هذا الفصل ليس هو " استرجاع أحداث الحياة " بالنسبة للمحتضر ، كما ورد كثيراً فى تجارب " ما بعد الموت " الحالية . كذلك فإن التجربة الأخيرة - التى تحدث في الغالب قبل الموت - هى الأخرى ليست بها أيه جوانب سمائية ، أو تنتمى إلى الدينونة . إنها تبدو مجرد تجربة نفسية ، أو ملخص لحياة الشخص ، أو إعادة لفرز مالايزيد عن أن يكون صحوة ضمير.. إن فقدان الدينونة ، وحتى " روح المزاح " التى

(*) Billy Graham, Angels, God's Secret Messengers, Doubleday, New York, 1975 , PP. 150 - 151.

وصف بها الكثيرون الكائن غير المنظور الذى يؤدى مهمة " استرجاع أحداث الحياة " هو فى المحل الأول ، انعكاس لفقدان الجدية التى يعطيها معظم الناس فى العالم الغربى اليوم ، كل الاعتبار ، فيما يتعلق بالحياة والموت ، ويبين هذا كذلك السبب فى أن الهندوس فى الهند المتخلفة ، لديهم تجارب عن الموت أكثر إثارة للخوف عما جرى بالنسبة لمعظم الغربيين : هؤلاء الذين حتى بدون الاستنارة المسيحية الحقيقية ، لايزالون يلتزمون بموقف أكثر جدية من الحياة ، بالقياس إلى معظم الناس فى الغرب المسيحى العابث .

إن الطريق خلال مراكز التفتيش ، الذى هو نوع من المعايير لقياس تجربة " ما بعد الموت " ، لم يوصف مطلقاً فى التجارب التى تجرى فى أيامنا هذه ، وليس من المستبعد التوصل إلى سبب ذلك ، من نواحى عديدة منها غياب الملائكة التى تأتى من أجل الروح ، وغياب الدينونة ، وتفاهة العديد من الحكايات ، وحتى قصر الوقت الذى تستغرقه (يتراوح فى العادة ما بين خمس إلى عشرة دقائق ، بالمقارنة مع الساعات العديدة والتى قد تصل إلى أيام عديدة ، فى الحوادث المأخوذة عن سير القديسين وغيرها من المصادر الأرثوذكسية) . من الواضح أن التجارب التى تجري فى أيامنا هذه بالرغم من أنها مثيرة أحياناً ومن غير الممكن تفسيرها حسب أية قوانين طبيعية معروفة فى العلوم الطبية ، إلا أنها ليست عميقة جداً . ولو كانت هذه تجارب حقيقية للموت ، فإنها تستغرق فقط البداية الأولى من رحلة الروح بعد الموت، إنها تحدث فى غرفة الاستراحة التى تمهد للموت ، كما لو كانت قد حدثت قبل أن يصبح القرار الإلهى الخاص بالروح - نهائياً (يتضح عند حضور الملائكة إلى الروح) ، بينما لاتزال توجد إمكانية لعودة الروح إلى الجسد بالوسائل الطبيعية .

ويتبقى لنا تقديم تفسير مقبول للتجارب التى تحدث اليوم . ما هى

هذه المعالم الأرضية الجميلة التى يشاهدها المحتضرون؟ أين هذه المدينة السماوية التى شاهدوها ؟ ما هو هذا النطاق الكلى الموجود خارج الجسد والذى لايمكن إنكار الاتصال به فى هذه الأيام ؟

قد نجد إجابة هذه الأسئلة فى تحقيق من نوع مختلف ، فى **الأدب** المأخوذ عن المصادر الأرثوذكسية التى ذكرناها عاليه ، وهو أدب يرتكز أيضاً على التجربة الشخصية ، وهو أكثر عمقاً فى ملاحظاته واستنتاجاته عن تجارب ما بعد الموت التى تحدث هذه الأيام . وهذا هو الأدب الذى يعود إليه الدكتور مودى وغيره من المحققين ، والذى يجدون فيه بالفعل تشابهات ملحوظه مع الحالات الإكلينيكية التى استحوذت على الانتباه المعاصر فيما يختص بالحياة بعد الموت .

تعليم الأسقف ثيوفان الناسك

حول مراكز التفتيش الهوائية

كان الأسقف إغناطيوس بريانشانينوف ، هو المدافع الأول عن التعليم الأرثوذكسى حول مراكز التفتيش الهوائية - فى روسيا خلال القرن التاسع عشر ، عندما بدأ الملحدون والعصرانيون يسخرون منه ، ولكن الأسقف ثيوفان الناسك لم يتزعزع هو الآخر في الدفاع عن هذا التعليم ، الذى رأى أنه جزء لايتجزأ من التعليم الأرثوذكسى الكامل حول الحرب غير المنظورة ، والجهاد الروحى ضد الشياطين . ونقدم هنا أحد بياناته عن مراكز التفتيش، وهو جزء من تعليقه على الآية الثمانين من المزمور ١١٨ القائلة : " ليكن قلبى كاملاً فى فرائضك لكيلا أخزى " . لم يذكر النبى كيف وأين لايخزى

الإنسان ، ولعل المعنى القريب لقوله " لكيلا أخزى " هو ما يحدث أثناء نشوب المعارك الباطنية " .

أما اللحظة الثانية فى عدم الخزي فهى فى وقت الموت وأثناء المرور خلال مراكز التفتيش . ومهما بدت فكرة مراكز التفتيش مستحيلة بالنسبة « لحكمائنا » فلن يمكنهم أن يهربوا من العبور خلالها - فما الذى يبحث عنه هؤلاء الذين يجمعون الرسوم من هؤلاء الذين يمرون عبر تلك المراكز ؟ إنهم يبحثون عما إذا كان الناس يحملون معهم بعض بضائعهم . ولكن أى أنواع البضائع ؟ لعلها الشهوات والأهواء ، ولذلك فإنهم لن يجدوا شيئاً يتشاحنون بسببه ، فى الشخص النقى القلب والبعيد عن الشهوات ، وبالعكس فإن المقاومة من جانب الشخص النقى القلب تصرع الشياطين مثل سهام البرق ، وبالنسبة لمن لم يحصل إلا على القليل من التعليم فقد ذكر الفكرة التالية :

إن مراكز التفتيش شئ مرعب - ولكن من الممكن للشياطين أن تقدم بدلاً من الشئ المرعب شيئاً مغرياً ، أى تقدم للروح شيئاً مخادعاً ومغرياً حسب سائر أنواع الشهوات - أثناء عبور الروح من خلال مراكز التفتيش مركزاً بعد الآخر . وعندما يكون الإنسان أثناء مسار حياته على الأرض قد استبعد من قلبه الشهوات والأهواء وزرع الفضائل المقابلة لها ، حينذاك لايهم مدى الإغراء الذى تلاقية الروح . إنها لاتجد أى نوع من الميل إليها فتمر بها وتبتعد عنها فى إشمئزاز وقرف . أما عندما لايكون القلب قد تطهر فإن الروح ستندفع نحو أى شهوة يجد القلب ميلاً إليها ، وستتخذ منه الشياطين صديقاً لها ، وحينئذ تعرف أين تضعه . ولذلك فمن المشكوك فيه أن الروح التى تبقى فيها ميولها نحو الأشياء التى تهواها وتشتهيها - لا تلقى الخزى عند مراكز التفتيش . والخزى هنا يعنى أن الروح نفسها ستلقى فى الجحيم .

ولكن الكائن فى النهاية سيلقى الخزى عند الدينونة الأخيرة قبل مواجهة القاضى العالم بكل شئ . (*) .

انتهى القسم الأول

ويليه القسم الثانى

من بداية الفصل السابع وحتى نهاية الكتاب

(*) المزمور المائة والثمانية عشر ، تفسير الأسقف ثيوفان Theophan – موسكو ١٨٩١ ، وأعاد طبعها جوردانڤيل Jordanville سنة ١٩٧٦ صفحات ٢٨٩ – ٢٩٠ – أنظر الملخص بالإنجليزية ، والذى طبعه دير ديفيڤو Diveyevo الجديد فى Spring Valley – نيويورك سنة ١٩٧٨ – ص ٢٤ .

فهرس الموضوع

الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

منشورات أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمى

١- أهمية العقيدة الأرثوذكسية للحياة الروحية .

٢- الأقباط الأرثوذكس وجمعيات خلاص النفوس البروتستانتية بيان للشعب الأرثوذكسى .

٣- تعليم كنيسة الإسكندرية وأخواتها الكنائس الأرثوذكسية الشقيقة فيما يختص بطبيعة السيد المسيح .

٤- القيم الروحية المنطوية فى عقائد وطقوس الكنيسة الأرثوذكسية - الجزء الأول - فى عقائد المسيحية العظمى .

٥- القيم الروحية - الجزء الثانى - فى سر المعمودية .

٦- القيم الروحية - الجزء الثالث - فى سر الميرون .

٧- القيم الروحية - الجزء الرابع - فى سر القربان .

٨- محاضرات فى لاهوت المسيح - ١٣ محاضرة .

٩- إيضاح وبيان للمبادئ العامة الأساسية فى موضوع إنتخاب البطريرك.

١٠- دير المحرق - تاريخه ووصفه وكل مشتملاته .

١١- العذراء فى الزيتون .

١٢ - بركات سر التجسد .

١٣ - الشباب وروح العصر .

١٤ - روحانية الكنيسة القبطية .

١٥ - لماذا الصليب . ؟

١٦ - المسيحية والإجهاض .

١٧ - إسرائيل فى الميزان من منظار مسيحى .

١٨ - الكنيسة ومزاعم إسرائيل السبعة .

١٩ - ما بين الإسكندرية وروما وبيزنطة .

٢١ - القديس الأنبا ابرام أسقف الفيوم والجيزة .

٢٢ - الدرس الأول للمرأة .

٢٣ - أيستطيع أعمى أن يقود أعمى .

٢٤ - المسيح ملكا .

٢٥ - الالتزام الاجتماعى فى فكر الآباء وتاريخ الكنيسة .

٢٦ - الإلحاد المعاصر ، وكيف نجابهه .

٢٧ - أنت المسيح ابن الله الحى - الحلقة الأولى .

٢٨ - الأم .

٢٩ - امرأة من لبنان .

٣٠ - الكنيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق الأوسط - الجزء الأول .

٣١ - الرأى المسيحى فى تحديد النسل .

٣٢ - أحد التناصير - أو المولود أعمى .

٣٣ - الكنيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق الأوسط - الجزء الثانى (عودة رفات القديس مرقس الرسول) .

٣٤ - فى عالم الروح - تعريفات أولية .

٣٥ - البابا ديوسقوروس الاسكندرى حامى الإيمان أمام منبر التاريخ .

٣٦ - محاكمة يسوع المسيح .

٣٧ - عيد التجلى المجيد .

٣٨ - أنت المسيح ابن الله الحى - الحلقة الثانية .

٣٩ - أهمية العقيدة الدينية للحياة الروحية . طبعة ثانية مزيدة .

٤٠ - الشر ، أسبابه ونتائجه .

٤١ - فى ليلة عيد الميلاد المجيد . الاختيار الملهم لفصول القراءة .

٤٢ - الكنيسة وقضايا الوطن والدولة والشرق الأوسط - الجزء الثالث .

٤٣ - القيم الروحية - الجزء الخامس - فى سر التوبة .

٤٤ - أنت المسيح ابن الله الحى - الحلقة الثالثة .

٤٥ - أنت المسيح ابن الله الحى - الحلقة الرابعة .

٤٦ - دعوا الروح يملأكم .

٤٧ - القيم الروحية - الجزء السادس - فى سر مسحة المرضى.

٤٨ - شرح مبسط لقانون الإيمان .

٤٩ - القديس يوسف النجار خطيب العذراء مريم .

٥٠ - الشباب وروح العصر - طبعة ثانية مزيدة .

٥١ - الدرس الأول للمرأة - طبعة ثانية مزيدة .

٥٢ - أنت المسيح ابن الله الحى - الحلقة الخامسة .

٥٣ - أنت المسيح ابن الله الحى - الحلقة السادسة .

٥٤ - القيم الروحية - الجزء السابع - فى سر الزيجة .

٥٥- تأملات وتعليقات على رسالة القديس بولس الرسول الأولى إلى تيموثيئوس .

٥٦- ذكرياتى عن وفى كنيسة القديس الأنبا أنطونيوس بشيكولانى - شبرا مصر .

٥٧- الأقباط والتعليم فى مصر الحديثة . للدكتور سليمان نسيم .

٥٨- الكنيسة المصرية القبطية وكنيسة أثيوبيا . للدكتور انتونى سوريال عبد السيد .

٥٩- تأملات وتعليقات على رسالة القديس بولس الرسول الثانية إلى تيموثيئوس .

٦٠ - جسم القيامة فى ضوء تعاليم العهد الجديد . الجزء الأول - الجسد ومكونات الإنسان . للدكتور سمير هندى .

٦١ - الحياة بعد الموت . تعريب الأستاذ إبراهيم سلامة إبراهيم.

٦٢ - روحانية الكنيسة القبطية - طبعة ثانية .

٦٣ - كيف وصل إلينا الكتاب المقدس . للدكتور سمير هندى

٦٤ - الهيبوستاس . أو الأقانيم الإلهية فى الله الواحد الأحد . للدكتور شرابى اسكندروس .

٦٥- البابا ديوسقوروس الإسكندرى حامى الإيمان - طبعة ثانية.

٦٦- موجز الاعتقاد فى وحدانية الإله .

٦٧- القديس الأنبا سمعان الشهير بالأنبا هيدرا الأصوانى والدير المنسوب لاسمه .

٦٨- أضواء على الحياة بعد الموت - تعريب الأستاذ إبراهيم سلامة إبراهيم .

٧٠- الأسبوع الأخير . للمهندس ليشع حبيب .

٧١- فى عالم الروح - الجزء الثانى .

٧٢- جسم القيامة فى ضوء تعاليم العهد الجديد - الجزء الثانى - الجسد والروح بين عوامل الفناء والبقاء - للدكتور سمير هندى .

٧٣- الوصية السادسة " لا تقتل " المسيحية والتدخين .

٧٤- القيم الروحية فى سرّ المعمودية - الجزء الأول - طبعة ثانية مزيدة .

٧٥- القيم الروحية فى سرّ المعمودية - الجزء الثانى - مقالات فى المعمودية المسيحية والمفهوم الأرثوذكسى للخلاص.

٧٦ - الرأى المسيحى فى أطفال الأنابيب ونقل الأجنة .

٧٧ - الختان فى المسيحية .

٧٨ - مقالات فى الكتاب المقدّس - الجزء الأول .

٧٩ - مقالات فى الكتاب المقدّس - الجزء الثانى .

٨٠ - مقالات فى الكتاب المقدّس - الجزء الثالث .

٨١ - الوصية الثامنة - لا تسرق - الربا الحرام والربا الحلال .

٨٢- الوصية الثامنة - لا تسرق - العشور والنذور والبواكير.

٨٣- جسم القيامة فى ضوء تعاليم العهد الجديد - الجزء الثالث - للدكتور سمير هندى .

٨٤- بأى جسد سوف نقوم ؟ - للمهندس ليشع حبيب .

٨٥- المسيحُ مُعلماً - الجزء الأول .

٨٦- المسيحُ مُعلّماً - الجزء الثانى .

٨٧- أنت المسيح الله ابن الله الحى - الحلقة الثامنة .

٨٨- أنت المسيح الله ابن الله الحى - الحلقة الثانية - طبعة ثانية .

٨٩- القديس الأنبا ابرام - أسقف الفيوم والجيزة - طبعة ثانية.

٩٠ - مقالات فى الكتاب المقدّس - الجزء الرابع .

٩١ - علم اللاهوت المبسط - الدكتور شرابى اسكندروس .

٩٢ - المجئ الثانى للمسيح الرب - الحكم الألفي - القيامة الأولى - والقيامة العامة .



دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
جمهورية مصر العربية - تليفون: ٩٠٤٣٤٣